A-PDF Merger DEMO : Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

مفهوم مضلل:
الاقتصار على الأركان الخمسة

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

٢٢٢

الوعـــــي

العدد ٢٢٢ ـ السنة التاسعة عشرة ـ رجب ١٤٢٦هـ ـ آب ٢٠٠٥م

العفو في الشريعة الإسلامية

مظاهر الوحدانية (٢)

دولة يهود لا تنفع معها المفاوضات

في ذكرى هدم الخلافة

«لأنهم يريدون إقامة الخلافة» مبرر أميركا الجديد لضرب المسلمين

- أوهام بريجنسكي (٣)
- العُقاب

AL-WAIE

الوعي

السنة التاسعة عشرة – ٢٢٢

جامعية – فكرية – ثقافية

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

المراسلات

ألمانيا

N. Abdallah
Postfach: 301513
D – 10749 Berlin
Germany

ثمن النسخة

لبنان	:	١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	:	١ يورو
أميركا	:	٢,٥٠ دولار أميركي
كندا	:	٢,٥٠ دولار كندي
أستراليا	:	٢,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا	:	١ جنيه إسترليني
السويد	:	١٥ كورون سويدي
الدانمرك	:	١٥ كورون دانمركي
بلجيكا	:	١ يورو
سويسرا	:	٢ فرنك سويسري
النمسا	:	١ يورو
باكستان	:	دولار أميركي
تركيا	:	دولار أميركي
اليمن	:	٤٠ ريالاً

إقرأ في هذا العدد (٢٢٢)

■ كلمة «الوعي»: دولة يهود لا تنفع معها المفاوضات ٤
■ رياض الجنة: أخلاق رسول الله ﷺ في الدعوة (٣) . ٦
■ في ذكرى هدم الخلافة ٧
■ «لأنهم يريدون إقامة الخلافة» مبرر أميركا الجديد لضرب المسلمين ١١
■ أوهام بريجنسكي (٣) ١٣
■ أخبار المسلمين في العالم ١٧
■ «العفو» في الشريعة الإسلامية ٢١
■ مفهوم مضلل: الاقتصار على الأركان الخمسة ٣٠
■ مع القرآن الكريم: مظاهر الوحدانية (٢) ٣١
■ العُقاب ٣٢
■ كلمة أخيرة: المنفيين والجنسيات المزدوجة ٣٥

إلى السادة الكتّاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في ألمانيا.

عناوين المراسلين

ألمانيا
N. Abdallah
Postfach: 301513
D – 10749 Berlin
Germany

اليمن
جعبل أحمد عبد الله
P.O Box: 11056
Sanaa - Yemen

أستراليا
AL - WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW - Australia

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

England
Al-Waie
Suite 298
56 Gloucester Rd
London SW7 4UB

كندا : Canada
AL - WAIE
Eglinton Ave. East ٢٣٧٦
P.O.Box # 44553
Scarborough, ONT. M1K 2PO

عنوان «الوعي» على الإنترنت
www.al-waie.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

انتقل إلى الرفيق الأعلى أحد الشباب الأتقياء الأنقياء في الأردن، ولا نزكي على الله أحداً، الأستاذ الفاضل يوسف السباتين (أبو العز).

وقد نعاه حزب التحرير – ولاية الأردن بهذه الكلمات الطيبة:

«ينعى **حزب التحرير- ولاية الأردن**

إلى الأمة الإسلامية

العالم الجليل، وحامل الدعوة الكبير، الأستاذ

يوسف أحمد السباتين

(أبو العز)

الذي أمضى حياته عاملاً لإقامة الخلافة بجد وصبر، رغم ما لاقى من أذى ومشقة

ونسأل الله لفقيدنا واسع الرحمة

ولأهله وإخوانه الصبر والسلوان

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾»

حشره الله مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

دولة يهود لا تنفع معها المفاوضات

يقول شارون بأنه سينسحب كلياً من قطاع غزة في أواسط شهر آب الجاري، وقد طلب منه مسؤولو السلطة الفلسطينية أن ينسّق معهم شؤون الانسحاب والاستسلام والتسليم؛ كي يضمنوا أن لا تقوم بعض فصائل المقاومة الفلسطينية بإطلاق النار على الجيش اليهودي أثناء تقهقره، ولكن شارون رفض وهدد بعظائم الأمور إن حصل أي هجوم على فلول جيشه.

والشغل الشاغل الآن لمسؤولي السلطة هو كيف يؤمّنون الحماية لفلول جيش شارون كي لا يحِلَّ عليهم غضب شارون، وبخاصة أن هناك من المجاهدين من يخطط لملاحقة هذه الفلول ومهاجمتها وإذلالها كما حصل لفلول جيش يهود حين خرجت مدحورة من جنوب لبنان في أيار سنة ٢٠٠٠م. أي إن السلطة صار كل همّها أن تنفذ رغبة رئيس وزراء دولة العدو. وهناك خشية حقيقية أن تتورط السلطة بارتكاب مجزرة في الشعب الفلسطيني كُرْمى لعيون شارون.

هل يفهم مسؤولو هذه السلطة أن دولة يهود لا تنفع معها المفاوضات، وأنها لا تنسحب من أي شبر إلا تحت الضربات الموجعة؟ لم تنسحب من لبنان بالوسائل الدبلوماسية، ولا بقرارات مجلس الأمن، ولا بضغط من الرأي العام الدولي، وبقيت ترفض وتعاند حتى دحرتها ضربات المجاهدين. وحين خرجت من سيناء كانت تعلم أن لا طاقة لها بالبقاء. وحين تخرج الآن من غزة فإنها تخرج بفعل ضربات المجاهدين الذين يستنزفونها منذ زمان، حتى تمنى أحد زعمائها لو يستيقظ يوماً ويجد أن البحر ابتلع غزة وأراحهم من عنائها. وهذه الجولان لم تنسحب منها دولة يهود رغم المفاوضات وقرارات مجلس الأمن؛ ذلك لأنه لا توجد ضربات تجبرها على ذلك. وإذا كانت سوريا تنتظر ضغوط الرأي العام الدولي، أو تنتظر من الدول الكبرى أو من الأمم المتحدة أن تعيد إليها حقها فإن انتظارها سيطول.

مسؤولو السلطة يبيعون الشعب الفلسطيني وهماً يسمونه «دولة فلسطينية»، وكان اليهود باعوهم هذا الوهم في أوسلو، وحين حلّ الموعد قال لهم اليهود: إن هذا الموعد ليس مقدّساً. ثم بدأ اليهود ببناء الجدار ليجعلوا في النهاية من الضفة علبة مقفلة من جميع الجهات، ومقسمة من الداخل إلى عدة كانتونات معزولٍ بعضها عن بعض بكتل استيطانية وأوتوسترادات مسيَّجة. وبحيث أن هذه السلطة لا سيطرة لها على حدودها، ولا على أجوائها، ولا على أرضها، ولا على ما في باطن أرضها، ولا يحق لها أن تملك جيشاً ولا سلاحاً (إلا سلاح الشرطة الأمنية)، ولا سياسة خارجية. والقدس كلها لليهود بما في ذلك الهيمنة على المسجد الأقصى الذي يهيّئون لهدمه وبناء الهيكل مكانه. وعودة اللاجئين شَطبتْ وصارت السلطة تنادي بحل عادل لقضيتهم، حتى إن رئيس السلطة صار ينادي الدول لإعطائهم جنسيتها. بينما شارون يدعو يهود فرنسا ويهود العالم كي يهاجروا إلى فلسطين على الرحب والسعة. ويحق لدولة يهود أن تعود لاحتلال موقت أو دائم لأية مدينة أو منطقة ترى أن السلطة لا تنفّذ فيها أوامر يهود. كل ما تطلبه السلطة أن تكون هذه «الدولة الفلسطينية» قابلة للحياة. هذه ليست دولة، وليست حكماً

ذاتياً. هذه لا تزيد عن أن تكون إدارة موجهة مثل أية بلدية من البلديات. فهل يوجد أو يُتَصوَّر وجود أكثر من هذا الذلّ الذي يسعى إليه مسؤولو السلطة؟! ويطلب شارون من هذه السلطة أن تسحب سلاح جميع فصائل المقاومة، وهذا هو البند الأول من بنود خارطة الطريق. أي لا أمل لهذه السلطة أن ترتقي إلى مستوى سلطة بلدية إلا إذا قامت بمجزرة مسلحة لتجريد جميع المقاومين من السلاح. حتى لو قامت السلطة بذلك فلن يفي شارون بوعده، بل سيضع شروطاً جديدة زيادة في الإذلال ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ [البقرة ١٠٠].

إن المسألة بيننا، نحن المسلمين، وبين دولة يهود، ليست مسألة جزئيات أو مسألة حدود، إنها مسألة وجود. إن كل ما تم في شأن فلسطين منذ اغتصبها اليهود إلى الآن هو باطل. ما قرره حكام العرب في قممهم من التنازل لليهود عن فلسطين المحتلة قبل سنة ١٩٦٧م هو خيانة. وما وافق عليه مسؤولو السلطة الفلسطينية من تنازلات عن فلسطين بما فيها المقدّسات وحقوق أهل فلسطين، وما يمارسونه من إذلال للشعب الفلسطيني لإرضاء يهود هو خيانة.

إن رئيس السلطة يسوّغ الخضوع، والقبول بالذل، والقبول بالتنازل؛ لأن ميزان القوى هو في مصلحة العدو. وحكام العرب والمسلمين يسوّغون ذلك أيضاً للسبب نفسه. ألا يعرف هؤلاء أن صاحب الحق، سواء أكان دولة أم شعباً أم فرداً، لا يتنازل عن حقه لعدوّه مهما كلف الأمر، وإذا كان في وضع ضعيف لا يمكّنه من تحصيل حقه فإنه يؤجل البتّ فيه، ويعمل بأقصى طاقة وأقصى سرعة؛ لتوفير الإمكانية لتحصيل حقه كاملاً، ولو احتاج الأمر عقوداً من السنين. وقضية فلسطين ليست مسؤولية أهل فلسطين وحدهم، وليست مسؤولية العرب وحدهم،بل هي مسؤولية الأمة الإسلامية كلها، وهذه المسؤولية تتوزع حسب قاعدة الأقرب فالأقرب؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ [التوبة ١٢٣]. وتطبيقها الآن ليس منوطاً بالقرب المكاني، بل بالأقرب إمكانية. والأمة الإسلامية الآن قادرة على تحرير فلسطين وغيرها من البلاد الإسلامية الواقعة تحت احتلال الكفار أو نفوذهم، والعائق أمام الأمة الإسلامية في ذلك هو حكامها الخاضعون لدول الغرب الكافرة المستعمرة. والذي يجعلهم يخضعون ليس لأنهم مُكْرَهون على ذلك، بل لأنهم تجتمع فيهم صفات: الجُبْن، والتمسُّك بالكرسي، واستمراء العمالة لدول الكفر، واستسهال الخيانة لدينهم وأمتهم وبلادهم. وهذا ليس شتيمة لهم ولا تجنياً عليهم، بل هو وصف لواقعهم؛ ولذلك فلا يُرجى حلٌّ لقضايا المسلمين في ظل أمثال هؤلاء الحكام. فهلاّ فَهِمَ ذلك المخلصون والعقلاء والحريصون على هذه الأمة؟

العدو ليس دولة يهود وحدها. العدو الأول هو أميركا وحلفاؤها. وميزان القوى الآن هو لمصلحتهم برضى المسلمين وليس رغماً عنهم، لأن المسلمين رضوا بهؤلاء الحكام ورضوا بأن يكونوا ممزقين إلى بضع وخمسين دولة. ميزان القوى سيكون حتماً لمصلحة الأمة الإسلامية لو انتفضت على واقعها الذليل المشرذم، وعادت إلى الموقع الذي خصها به الله بقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران ١١٠]. إن عودة الأمة لاقتعاد هذا المركز ليست بعيدة وليست صعبة على المؤمنين، وبخاصة أنها دبّت فيها الحيوية وأبصرت طريقها، وعرفت الأعداء، وعرفت العملاء، وعرفت المخلصين ❑

أخلاق رسول الله ﷺ في الدعوة (٣)

إسلام سهيل بن عمرو وشهادته بدماثة أخلاقه ﷺ:

–أخرج الواقدي وابن عساكر وابن سعد والحاكم في المستدرك عن سُهَيْل بن عمرو رضي الله عنه قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة وظهر، اقتحمت بيتي، وأغلقت عليّ بابي، وأرسلت ابني عبد لله بن سهيل أن اطلب لي جواراً من محمد ﷺ فإني لا آمن أن أقتل، فذهب عبد الله بن سهيل فقال: يا رسول الله، أبي تؤمّنه؟ قال: «نعم، هو آمن بأمان الله فليظهر». ثم قال رسول الله ﷺ لمن حوله: «من لقي منكم سهيلاً فلا يشدَّ إليه النظر، فليخرج، فلعمري إن سهيلاً له عقل وشرف، وما مثل سهيل جهل الإسلام، والقدر أي ما كان يوضع فيه إنه لم يكن له بنافع (أي لا ينفع أي فعل في رد قدر الله)» فخرج عبد الله إلى أبيه فأخبره بمقالة رسول الله ﷺ، فقال سهيل: «كان –والله– براً، صغيراً وكبيراً» فكان سهيل يقبل ويدبر، وخرج إلى حنين مع رسول الله ﷺ وهو على شركه، حتى أسلم بالجِعْرانة، فأعطاه رسول الله ﷺ يومئذ من غنائم حنين مائة من الإبل.

– وأخرج ابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لما كان يوم الفتح ورسول الله ﷺ في مكة، أرسل إلى صفوان بن أمية، وإلى أبي سفيان بن حرب، وإلى الحارث بن هشام –قال عمر: فقلت: قد أمكن الله منهم لأعرفنّهم بما صنعوا– حتى قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف] قال عمر: فافتضحت حياء من رسول الله ﷺ كراهية أن يكون بدر مني، وقد قال لهم رسول الله ﷺ ما قال.

– وعند ابن زَنْجَويه في كتاب الأموال من طريق ابن أبي حسين: قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، دخل البيت ثم خرج فوضع يده على عضادتي الباب، فقال: «ماذا تقولون» فقال سهيل بن عمرو: نقول ونظن خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، وقد قدرتَ، فقال: «أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ﴾».

– وأخرج البيهقي عن أبي هريرة فذكر الحديث وفيه: قالوا نقول: ابن أخ، وابن عم، حليم رحيم. قال: وقالوا ذلك ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: «أقول كما قال يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ قال: فخرجوا كأنما نشروا من القبور، فدخلوا في الإسلام. قال البيهقي: وفيما حكى الشافعي عن أبي يوسف في هذه القصة أنه قال لهم حيث اجتمعوا في المسجد: «ما ترون أني صانع بكم؟» قالوا خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» ❑

في ذكرى هدم الخلافة

في الثامن والعشرين من شهر رجب الخير لسنة ١٣٤٢ هـ، الموافق للثالث من آذار لسنة ١٩٢٤م، وقعت أكبر جريمة في حق المسلمين، حيث تمكنت الدول الأوروبية بقيادة بريطانيا من إلغاء دولة الخلافة العثمانية الإسلامية، ولم تخرج الجيوش البريطانية المحتلة لمضيق البوسفور وإستانبول العاصمة إلا بعد أن اطمأنت إلى نجاح عميلها مصطفى أتاتورك في تركيا من إلغاء دولة الخلافة، وإقامة الجُمهورية العلمانية على أنقاضها، وإخراج الخليفة من البلاد.

لقد قام أتاتورك بهذه المهمة تحت رعاية وإشراف القائد العسكري البريطاني هارنجتون، والسفير البريطاني كرزون. وبفضل هذا الإسناد، وفي جو إرهابي مفعم بالمكائد، والاغتيالات، والتهديدات، والتصفيات، تمكن أتاتورك من التقدم، في الأول من آذار من العام ١٩٢٤م، بمرسوم إلى الجمعية الوطنية يقضي بإلغاء الخلافة، وطرد الخليفة، وفصل الدين عن الدولة، فخاطب النواب المنفعلين المشدوهين بسبب هذا المرسوم قائلاً: «بأي ثمن يجب صون الجمهورية المهددة، وجعلها تقوم على أسس علمية متينة. فالخليفة ومخلفات آل عثمان يجب أن يذهبوا، والمحاكم الدينية العتيقة وقوانينها يجب أن تُستبدل بها محاكم وقوانين عصرية، ومدارس رجال الدين يجب أن تَخلي مكانها لمدارس حكومية غير دينية». وفي صبيحة الثالث من آذار من ذلك العام أعلن المجلس الوطني الكبير موافقته على إلغاء الخلافة وفصل الدين عن الدولة، وفي الليلة ذاتها أرسل مصطفى كمال أمراً إلى حاكم إستانبول الذي استولى على المدينة بفضل سماح القوات البريطانية وتمكينها له بالسيطرة عليها، يقضي بأن يغادر آخر خليفة عثماني عبد المجيد تركيا قبل فجر اليوم التالي، وأُجبر الخليفة بالفعل على الخروج من تركيا باتجاه سويسرا وتم تزويده بحقيبة فيها بعض الثياب وبضعة جنيهات، وبذلك نفذ أتاتورك شروط إنجلترا وأوروبا للاعتراف بالجمهورية الجديدة، واعترفت الدول الأوروبية باستقلال تركيا في الرابع والعشرين من تموز من نفس العام وفقاً لمعاهدة لوزان، وانسحبت بالتالي القوات المحتلة البريطانية من إستانبول العاصمة والمضائق، وغادر القائد العسكري البريطاني هارنجتون تركيا، وقال وزير الخارجية البريطاني كرزون أمام مجلس العموم البريطاني: «القضية أن تركيا قد قُضي عليها، ولن تقوم لها قائمة، لأننا قضينا على القوة المعنوية فيها: الخلافة والإسلام».

فهذا الحدث الجسيم، وهو هدم الخلافة، لا شك بأنه يعتبر منعطفاً خطيراً في حياة الأمة الإسلامية، فقبل هذا الحدث كان المسلمون يعيشون في ظل دار الإسلام، ومن لم يستظل بظل الدولة الإسلامية كانوا يستطيعون الانتقال إلى الدولة للعيش كرعايا فيها، وللتمتع بالحياة الإسلامية، وإبراء أعناقهم من وجوب وجود بيعة لخليفة امتثالاً لقوله ﷺ: «ومن مات وليس في

عنقه بيعة مات ميتة جاهلية».

ولكن بعد هدم الدولة لم يتمكن أي مسلم من أمة لا إله إلا الله من الالتزام والتقيد بفرض العيش في دار الإسلام والاندماج في جماعة المسلمين. لذلك كانت هذه المناسبة الحزينة جديرة بالتأمل لخطورتها على مستقبل الشعوب الإسلامية، ولاتخاذ العبر منها، وعليه كانت ذكرى سقوط الخلافة مختلفة متميزة وليست ككل الذكريات. فهي ليست ذكرى دينية بالمعنى الشرعي وإن كان لها علاقة تتصل بأعظم واجبات الدين ألا وهي وجوب إقامة الدولة الإسلامية لتطبيق شرع الله تعالى على الناس. وهي ليست ذكرى احتفالية كسائر الذكريات المعهودة البهيجة، وإن كان العمل لإحياء معانيها ينشر السعادة والفرحة في جميع شعوب المعمورة، وليس في جنس أو شعب واحد من شعوبها. وهذه الذكرى وإن كانت غير شائعة بين سواد المسلمين إلا أن إشاعتها تثير في الناس دوافع العمل السياسي الصحيح، ونوازع الوحدة السياسية الفورية للشعوب الإسلامية.

فهي إذاً فعلاً ذكرى، ولكنها ليست كسائر الذكريات، إنها ذكرى حزينة وأليمة لأنها تتعلق بسقوط أعظم دولة عرفتها البشرية. وبسقوطها سقطت المفاهيم الدولية المبنية على المبادئ والقيم الرفيعة والأخلاقيات، وحلّت محلها المفاهيم الدولية المبنية على المصالح والأهواء والماديات.

وبسقوط الدولة العثمانية بوصفها آخر دولة خلافة للمسلمين في العام ١٩٢٤م، لم يتبق للأمة الإسلامية منذ ذلك التاريخ دولة حقيقية تمثلهم، ولم يعودوا يجيون في جماعة إسلامية يقودها خليفة مبايع شرعاً على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وبفقدان دولة الخلافة فقدت الأمة الإسلامية ما وصفه القلقشندي: بـ«حظيرة الإسلام، ومحيط دائرته، ومربع رعاياه، ومرتع سائمته، والتي بها يحفظ الدين ويُحمى، وبها تُصان بيضة الإسلام، وتسكن الدهماء، وتقام الحدود فتمنع المحارم عن الانتهاك، وتُحفظ الفروج فتَصان الأنساب عن الاختلاط، وتُحصن الثغور فلا تطرق، ويُذاد عن الحُرَمِ فلا تُقرع».

لقد افتُقدت فعلاً هذه المعاني واختفت بسقوط دولة الخلافة، وغاب واقع هذا الوصف الذي ذكره القلقشندي عن الخلافة تماماً من حياة المسلمين. والدول التي أُقيمت على أنقاض الدولة العثمانية فإنها في الواقع ليست بأكثر من كيانات زائفة لا تمثل الأمة بحال من الأحوال؛ لأن الاستعمار هو الذي فرضها على شعوب الأمة الإسلامية، ولذلك كان الاستعمار أولى بأن تمثله هذه الكيانات بدلاً من أن تمثل شعوبها.

والمسلمون منذ سقوط الخلافة قبل أربع وثمانين سنة هجرية لم يذوقوا طعم الانتصار والعزة والكرامة ولو لمرة واحدة، فهم لم يكسبوا معركة قط، ولم يفوزوا بحرب أبداً، فحروبهم بعد عهد الخلافة لم تُنتج سوى الهزائم والنكسات والنكبات، وأما سلمهم الذي ينادون به ويروجون له فلم يكن سوى الاستسلام بعينه للأجنبي، ولم يتمخض عنه إلا الخيبة والسراب والأوهام.

فلو كانت الأمة الإسلامية في ذلك الوقت واعية لخطورة المرحلة، ومتسلحة بالثقافة الإسلامية، ومتمسكة بالفقه السياسي، ومتشبعة بالأفهام الشرعية؛ لما تمكنت بريطانيا والدول الأوروبية من إلغاء الخلافة بهذه السهولة، ولكن المشكلة أن الأمة كانت خاضعة للاستعمار المباشر، وكان الضعف الشديد الذي طرأ على الأذهان في فهم الإسلام قد استشرى في العقول، وتمكن من

الاستحواذ على الأفئدة؛ لذلك لم تُبدِ الأمة مقاومة تذكر إزاء هذا الحدث الجلل، فكانت ردود أفعال الأمة حقيقة لا تتناسب مع جسامة الحدث، وكان التعبير المشاعري والعاطفي هو الذي يميز ردات فعل المسلمين على إلغاء الخلافة، فقد جاءت الوفود الإسلامية إلى تركيا وطلبت من أتاتورك أن لا يلغي الخلافة، وطلبت منه أن ينصب نفسه خليفة، وكذلك طلب بعض النواب في الجمعية الوطنية أن يُبايَع أتاتورك خليفة، فرفض طلبهم هذا لأن له دور ومهمة أنيطت به يريد استكمالها حتى النهاية، فهو أجير لبريطانيا، ومطلوب منه القيام بالدور كما رُسم له.

ولقد عبَّر أمير الشعراء أحمد شوقي عن حس المسلمين ومشاعرهم الجياشة إزاء إلغاء الخلافة تعبيراً صادقاً وذلك من خلال قصيدة رائعة رثى فيها الخلافة فقال:

ضَجَّتْ عليكِ مآذنٌ ومنابرٌ
وبَكتْ عليكِ ممالكٌ ونَواحِ
الهندُ والهةٌ ومصرُ حزينةٌ
تَبْكي عليكِ بمَدمَعٍ سَحّاحِ
والشّامُ تسْألُ والعِراقُ وفَارسٌ
أَمَحَا من الأرضِ الخلافةَ ماحِ؟

ووصف رابطة الخلافة بأوصاف حقيقية استشعرها آنذاك فقال:

هتكوا بأيديهم مُلاءَةَ فخرِهِم
مَوْشِيَّةً بمواهب الفَتَّاحِ
نَزعوا عن الأعناق خيرَ قِلادة
ونَضَوْا عن الأَعطاف خير وِشاحِ
حَسَبٌ أتى طُولُ الليالي دُونَهُ
قد طاحَ بينَ عشيَّةٍ وصباحِ
وعَلاقةٌ فُصِمَت عُرَى أَسبابها
كانت أَبرَّ علائقِ الأرواحِ
جَمَعَت على البرِّ الحُضورَ، وربما
جَمَعتْ عليه سرائرَ النُّزَّاحِ
نَظَمتْ صفوف المسلمين وخطوهم
في كلِّ غَدوةِ جمعةٍ ورواحِ

ثم هاجم أتاتورك هجوماً لاذعاً لكونه تسبب في هدم الخلافة فقال:

بكت الصلاةُ، وتلك فتنةُ عابثٍ
بالشرع، عِرْبِيد القضاءِ، وقاح
أفتى خُزَعْبِلَةً وقال ضلالةً،
وأتى بكفر في البلادِ بواحِ
هو ركن مملكةٍ، وحائط دولةٍ،
وقريعُ شهباءٍ، وكبشُ نِطاحِ
أأقولُ من أَحيا الجماعةَ مُلْحِدٌ؟
وأقولُ من ردَّ الحقوقَ إباحِي؟
نقلَ الشرائعَ والعقائدَ والقرَى
والنَّاسَ نَقْلَ كتائبٍ في السَّاحِ

ثم يهاجم الشعب التركي لسكوته على فعلة أتاتورك الشنعاء، ويبرر سكوت الأتراك على أتاتورك بسبب عقليتهم العسكرية التي تربوا عليها فيقول:

إن الذين جرى عليهم فقهُهُ
خُلقوا لِفقه كتيبة وسلاحِ
إن حدّثوا نطقوا بخُرْسِ كتائبٍ
أو خوطبوا سمِعوا بصُمِّ رماحِ
تركتْه كالشبح المؤلَّةِ أُمَّةٌ
لم تَسْلُ بعدُ عبادةَ الأشباحِ
هُم أَطلقوا يده كقيصرَ فيهمو
حتى تناول كلَّ غيرِ مباحِ

ثم ينتبأ أخيراً بأن الفتن والكذب والأحقاد سوف تعم البلاد الإسلامية بعد سقوط الخلافة فيقول:

فلتَسْمَعُنَّ بكلِّ أرضٍ داعياً
يدعو إلى (الكذَّابِ) أو لسَجاحِ
ولتشهدُنَّ بكل أرض فتنةً

فيها يبـــاعُ الدِّين بيـــعَ ســـماحِ
يُفتى على ذهـــبِ المعزِّ وسيفِهِ
وهوَى النُّفوس، وحِقْدِها المِلْحاحِ

وهـو يشـير في ذلـك إلى المعـز لـدين الله الفاطمي الذي قدم الذهب والسيف للناس لدى دخوله القاهرة فقال: هذا حسبي وهذا نسبي.

وهكذا، فلم تكن الردود في مستوى الحدث، وكانـت عاطفيـة لم تَـرق إلى مسـتوى الفعـل السياسي، وإلى اعتبارها قضية مصيرية تهون في سبيلها الأرواح، مع علم المسلمين بأن الخلافة هي قضيتهم الأولى، فالمسلمون منذ التحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى لم يهتموا بقضية قدر اهتمامهم بالخلافة. ولو استعرضنا بعض أقوال السلف فيها لأدركنا عظم هذه القضية بالنسبة إليهم.

فأبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: «ألا إن محمداً قد مات، ولا بد لهذا الدين ممن يقوم به»، وعمر رضي الله عنه يقول: «لا إسلام إلا في جماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة»، والماوردي قال في الأحكام السلطانية: «مذهب أهل الحق من الإسلاميين أن إقامة الإمام وأتباعه فرض على المسلمين»، وقال: «فليس دين زال سلطانه إلا بُدِّلت أحكامه، وطُمست أعلامه، لما في السلطان من حراسة الدين، والذب عنه، ودفع الأهواء منه. ومن هذين الوجهين وجب إقامة إمام يكون سلطان الوقت، زعيم الأمة، ليكون الدين محروساً سلطانه، والسلطان جارياً على سنن الدين وأحكامه»، والبغدادي يقول: «إن الإمامة فرض واجب على الأمة لأجل إقامة الإمام»، والشهرستاني يقول: «إنه ما دار في قلبه ولا في قلب أحد أنه يجوز خلو الأرض من إمام»، وابن خلدون في مقدمته يقول: «إن نصب الإمام واجب، كما عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين»، والشوكاني يقول: «يجب على المسلمين نصب الأئمة والولاة والحكام؛ لأنه إذا حرّم الشرع على ثلاثة من المسلمين أن يظلوا بلا أمير فكيف ببقاء الأمة الإسلامية كلها بدون أمير».

وهكذا فالعلماء -وهذه طائفة قليلة منهم فقط- تحدثوا عن هذا الفرض العظيم، والذي تزخر بالحديث عنه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة ٤٩] فالحكم في هذه الآية وفي غيرها جاء عاماً شاملاً لكل ما أنزل الله، وبالتالي فلا يقام بتنفيذ جميع ما أنزل إلا من خلال دولة الخلافة الإسلامية.

وقد أخرج الطبراني عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يداً من طاعة الله لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»، وروى مسلم حديثاً للرسول ﷺ يقول فيه: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما».

وهذا مجرد غيض من فيض تشير فيه هذه الأحاديث النبوية الشريفة عن الإمام والخليفة ولا داعي لذكر المزيد منها. فالمسألة إذاً مسألة شرعية، ومسألة واقعية، وليست كما يحلو للبعض وصفها بأنها مسألة خيالية، ولا أدّل على ذلك من ذكرها على ألسن أعداء الإسلام من المسؤولين في الإدارة الأميركية، فهذا رامسفيلد وزير الدفاع الأميركي يقول: «إننا لن نسمح لقبضة من الإرهابيين من دعاة الخلافة أن يفرضوا علينا أسلوب حياتهم»، وهذا ريتشارد مايرز رئيس هيئة الأركان يقول: «إن المتطرفين يسعون لإعادة دولة الخلافة كما كانت في القرن السابع الميلادي»، وكذلك بوتين الرئيس الروسي حذَّر من إقامة دولة الخلافة في آسيا الوسطى.

(التتمة ص ١٢)

«لأنهم يريدون إقامة الخلافة»

مبرر أميركا الجديد لضرب الإسلام

بدأ الغرب يعيش هاجسا قويا يتمثل في الخوف من الإسلام أو كما يطلقون عليه Islamaphobia، حتى أصبح الإسلام حديث الصحف، والفضائيات، والسياسيين، والمفكرين، وغيرهم. بل إن الخلافة بالتحديد هي محور الحديث. فقد تحدث عنها مايرز، وبوش، ورامسفيلد، وبوتين، وبلير، وغيرهم، حتى إن وزراء وسياسيين في إسبانيا، والنمسا، وألمانيا، وفرنسا، بدأوا حملة عرقلة لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي مذكرين بالخلافة العثمانية. فهم الآن يعدون أنفسهم لكيفية التعامل مع هذا الواقع، ومحاولة القضاء عليه قبل أن يتكون. فقد بدأت التقارير المعدة من مفكرين وسياسيين غربيين تتحدث عن أقامة الخلافة سنة ٢٠٢٠م، أو عن حتمية إقامة الخلافة، وأن خوفهم الأكبر لا يكمن في خسارتهم للحرب مع الإسلام فقط، بل لقناعتهم أن الفكر الإسلامي سيهزم الفكر الرأسمالي أمام شعوبهم، ما يحدث ثورة لن يشهد لها التاريخ مثيلاً في تحول الشعوب إلى الإسلام.

نعم، لقد أقر المفكرون الغربيون أن الغرب قد خسر الكثير رغم احتلالهم للعراق وأفغانستان، وأن الغرب وعلى رأسه المحافظون الجدد في الإدارة الأميركية -بسبب تصرفاتهم- يعملون كل جهدهم لإقامة الخلافة، فقد قال بعضهم: «إن الديمقراطية التي وصلت إلى نموذج يحتذى به في العالم قد وقفت عارية أمام مغامرات أميركا وبريطانيا داخل بلدانهم وفي العالم؛ لأن تصرفات هذه الديمقراطيات تبين أنها أسوأ بكثير من الأنظمة الديكتاتورية، والطغاة في العالم، في التاريخ المسجل». وقال آخرون: «إن المسلمين لم ينجحوا في تشويه صورة الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان طيلة خمسين عاماً كما فعلت أميركا منذ الحادي عشر من سبتمبر. وإذا نظرنا إلى تصرفات دهاقنة الحرب في واشنطن لا يسع المرء إلا أن يتنبأ بأن إقامة الخلافة هي مسألة وقت».

من هنا يبحث صناع السياسة الغربيون والأميركيون تحديداً على مخرج من كل هذا بحيث يحقق لهم أهدافهم في إجهاض الخلافة قبل ولادتها -وخصوصاً بعد السلبيات التي أفرزتها فكرة "الإرهاب" بغض النظر عن بعض الأهداف التي حققتها لهم حسب تخطيطهم-؛ لذلك فهم يعدون للأمر في محورين:

أولهما:

الإسراع في إجراء حوار مع كل الحركات الإسلامية التي يسمونها معتدلة، ثم هم يعملون على اعتدال المتشدد منها، بحيث يحتوونها بعد أن يفرغوها من مظاهر القوة فيها ويدخلوها ضمن الأنظمة العميلة لهم؛ لتصبح جزءاً من اللعبة السياسية حسب المقاس الديمقراطي، فيمتصون بذلك غضب الناس، ويحرفون أفكارهم

ويضلونهم.

ثانيهما:

بدء حملة ترويج إعلامي وسياسي بتشويه فكرة الخلافة، وأنها فكرة قديمة، ومتوحشة، ومتخلفة، وظلامية، وأن دعاتها يريدون أخذ العالم إلى القرون الوسطى المظلمة ليحكموهم. فهم وحوش، وقاطعو رؤوس، علينا التخلص منهم ومن كل من يدعمهم، وكذلك التخلص من أي كيان يقيمونه؛ لأنه أسوأ على البشرية من أسلحة الدمار الشامل. وأن على الناس أن لا يتعاطفوا معهم إذا ما تمت محاربتهم حتى يقضى عليهم.

فيصبح من يدعو لإقامة الخلافة مجرماً، ويكون ذلك مبرراً لهم لضربهم والتنكيل بهم، وضرب الإسلام، وضرب دولة الخلافة إذا قامت. ودعم الدكتاتوريات، وارتكاب المجازر دون خوف من المحاسبة من شعوبهم. فقد جربت هذه الخطة في أنديجان عندما ارتكب كريموف مجزرته وكان مبرره «إنهم يريدون إقامة الخلافة»، ولم يجرؤ أحد في العالم أن يقول له ما العيب في ذلك؟

فليخطط الكفار كما يحلو لهم، فواقع الأمر أن المسلمين يزدادون وعياً يوماً بعد يوم، ولن تنطلي عليهم خطط الكفار، وأنهم أصبحوا مقتنعين أن العيش في ظل الإسلام هو السبيل الوحيد الباقي للإنسانية أن تتبعه، وأن الخلافة كما يفهمونها لا كما يروج لها الكفار هي حامية بيضة المسلمين ومنقذة العالم، وأنها هي محور الخير. وليس يحول بين إقامتها إلا قرار أصحاب القوة والمنعة من إخواننا الجنود والضباط في جيوش المسلمين. وإن أنظار الأمة اليوم شاخصة تجاههم تنتظر إعلانهم ليهبوا معهم يدعمونهم ويقاتلون معهم.

وإن غداً لناظره قريب.

قال ﷺ: «ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» ثم سكت.

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد] ❑

(تتمة في ذكرى هدم الخلافة)

ولعل الوقع الأبلغ من ذلك كله ما جاء في تقريرٍ حديث أعدَّه خبراء في المجلس القومي للبحوث والدراسات الاستراتيجية التابع للاستخبارات الأميركية، وشارك في إعداده ألف خبير، وشاركوا في ٣٠ مؤتمر في خمس قارات، جاء في إحدى سيناريوهاته الأربعة التي قدَّموها، أن خلافة جديدة سوف تجتاح العالم الإسلامي، وتحاول صهره في دولة واحدة، وأنها ستنجح في إسقاط العديد من الأنظمة القائمة خاصة في منطقة الشرق الأوسط، وذلك في العام ٢٠٢٠م على حد تقديراتهم.

وهكذا فلم تعد مسألة الخلافة خاصة بحزب من الأحزاب، وإنما أصبحت مطلباً جماهيرياً اقتضتها الصحوة الإسلامية والمد الإسلامي السياسي اللذان سادا وشاعا في العالم الإسلامي في الآونة الأخيرة.

لذلك كان حرياً بكل مسلم مهما كان انتماؤه، ولأي جهة كان ولاؤه، أن تستوقفه هذه الذكرى، وأن يعيد حساباته من جديد، وأن يفكر ملياً ثم يشارك بما يملك من قوة من أجل جعل إعادة دولة الخلافة همّه الأول، لإبراء ذمته من هذا الفرض العظيم الذي يطوق عنقه، وليشارك مع العاملين بنصيب من هذا الفضل العظيم الذي -إن شاء الله- سيعم البشرية بإشراقاته وأنواره ❑

أحمد الخطيب

أوهام بريجنسكي (٣)

زْبِغِنْيُو بريجنسكي، يعتبر من مفكري السياسة الأميركيين، كان مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس الأميركي كارتر، وقد كان، ومازال، من الذين تتلقف أيدي مفكري السياسة والسياسيين كتبهم. وقد أصدر بريجنسكي بعد حرب العراق الأخيرة كتاباً بعنوان «الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم» وعنوانه يكشف موضوعه، ويقدم فيه العديد من النصائح للإدارة الأميركية. وقد حوى الكتاب مغالطات وأوهاماً تتعلق بنظرته المعادية للإسلام والمسلمين، وتعتبر انعكاساً للغطرسة الأميركية التي لا ترى إلا نفسها.

وقد فند الكاتب أبو الزبير الأسدي بعض مغالطات بريجنسكي هذا وسماها أوهاماً متعددة وتبريرات ساذجة ركيكة، وقد رأت «**الوعي**» أن تنشر بعضها على حلقات.

● **وهم أسباب الركود الاجتماعي في العالم الإسلامي**

يقول بريجنسكي: «نظرا لهشاشة المؤسسات السياسية العلمانية، وضعف المجتمع المدني، واختناق الإبداع الفكري، يواجه معظم العالم الإسلامي ركوداً اجتماعياً واسعاً».

- إن أسباب الركود الاجتماعي في العالم الإسلامي تعود إلى الأنظمة العميلة الطاغوتية الجاثمة على صدر الأمة الإسلامية، والتي تستمد قوتها ومددها ودعمها من بلاد الغرب وخاصة أميركا. إن المؤسسات السياسية العلمانية لن تكون إلا هشة في وسط مجتمعات تتوق لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، ولولا الدعم الغربي المتفاني في الإبقاء على هذه الأنظمة لتهاوت.

ومن خداع الغرب أن يدعي أن ما يسمى بالمجتمع المدني ضرورة، فهو من أقام هذه الأنظمة وعندما رأى أن زمن التضليل ولّى، وأن الشعوب أصبحت تعي فساد وعمالة هذه الأنظمة، يريد أن يرقعها بمفاهيم لا تمت لقيم الأمة بصلة من مثل المجتمع المدني.

إن الإبداع الفكري خُنق من قبل هذه الأنظمة العميلة لما قد يمثله من تهديد لوجودها، إذ إن عوارها لا يُوارى، وقد كبر الخرق على الراقع. وحيث إن هذه الأنظمة موجودة بدعم من الدول الغربية، فلا يحق لبريجنسكي حتى أن يتكلم في هذا الموضوع، ناهيك أن ينصب نفسه مشخصاً لأسباب المشكلة، ومن ثم واصفاً لعلاجها.

● **وهم الخلط بين الحضارة والمدنية**

يقول بريجنسكي: «حتى عندما يكون جيل الشباب المسلم مدفوعاً بالاستياء المرير من الأعداء الخارجيين، أو بالغضب من نفاق الحكام، فإنه لا يكون حصينا من إغراءات التلفاز والأفلام. فالانسحاب من العالم الحديث يمكن أن يجذب فقط الأقليات المتعصبة، لكنه ليس خياراً بعيد المدى للكثيرين الذين لا يرغبون في خسارة فوائد الحداثة».

- يبرز لدى بريجنسكي أكثر الخلط بين المسائل المتعلقة بوجهة النظر عن الحياة والتي نسميها الحضارة، وتلك غير المتعلقة ونسميها المدنية.

فمثلاً طرق التنقيب عن الثروة واستخراجها من باطن الأرض، وتصنيع الصواريخ، وصقل المعادن، وبناء الجسور، واستكشاف الفضاء، وصنع رقائق الكمبيوتر، لا علاقة لها بوجهة النظر عن الحياة، فيقوم بها النصراني والهندوسي والمسلم واليهودي والبوذي والملحد والرأسمالي والاشتراكي وغيرهم بنفس الكيفية، فهي من المدنية ويجوز للمسلمين أن يأخذوها من أي مصدر كان؛ لأنها من العلم الذي لا تختص به أمة دون أخرى. أما طرق توزيع الثروة، واستخدام الصواريخ المصنعة والمعادن المصقولة، والهدف من بناء الجسور واستكشاف الفضاء وصنع رقائق الكمبيوتر، فهي متعلقة بوجهة النظر عن الحياة، فيتخذ الرأسمالي حيالها إجراء متفقاً مع أيديولوجيته أي وجهة نظره عن الحياة، في حين يتخذ المسلم حيالها إجراء متفقاً مع أيديولوجيته، وقد يتفق الإجراءان وقد يختلفان.

هنا يبرز أحد أكبر أوهام بريجنسكي عندما يخلط بين هاتين المسألتين، فيقول إن الشباب المسلم ليسوا محصنين أمام إغراءات التلفاز والأفلام، ويعتبرها من فوائد الحداثة التي لا يرغب بفقدانها الكثيرون. وواقع الأمر أن الحداثة من المدنية؛ ولذلك طبعا لا يريد الشباب المسلم أن يخسروا فوائدها، فهي من نعم الله تعالى علينا.

صحيح أن بعض مظاهر المدنية قد تعكس وجهة النظر في الحياة، كما هي الحال مع الأفلام الإباحية التي تعكس وجهة النظر الرأسمالية العلمانية الديمقراطية عن الأسرة وانفراط عقدها، وعن المرأة وكيف أنها سلعة للبيع والشراء، ولكن ما علاقة فيلم عن سباق أحصنة، أو فيلم عن مكافحة سمكة قرش عملاقة أو تمساح أسطوري، بوجهة نظر أي أيديولوجية في الحياة؟ ويدرك المسلمون عامة وأعضاء حزب التحرير خاصة الفرق بين المسألتين. فالإسلام يحث على الاستفادة من فوائد الحداثة، بغض النظر عن مصدرها، ما دامت لا تعكس وجهة نظر أيديولوجية كافرة في الحياة. فلا يُقال عن ما قاله بريجنسكي هنا إلا "أضغاث أوهام".

● **وهم أن الإسلام ضد الحداثة**

يقول بريجنسكي: «هل يوجد عدم توافق جوهري بين الإسلام والحداثة؟ مع تعريف الأخيرة، على نطاق واسع، بأنها التجربة المعاصرة والسريعة الانتشار عالمياً، لأميركا وأوروبا والشرق الأقصى ذات التوجهات العلمانية المتزايدة».

- إن تعريف الحداثة الذي ذكره بريجنسكي يستحق وقفة سريعة عليه. من الظاهر خلط بريجنسكي بين المسائل التي لا تتعلق بوجهة النظر في الحياة وتلك التي تتعلق بها، فكلمة حداثة مرتبطة بما هو حديث، والجديد قد يكون حديثاً وقد لا يكون، فلو جددنا بيتا قديما فأعدناه إلى حالته الجديدة فإنه لا يكون قد أصبح حديثاً ولكنه عاد ليكون جديداً، في حين أننا لو بنينا بيتاً جديداً وزودناه بآخر وسائل وأدوات الراحة فإنه يكون جديداً وحديثاً؛ لذلك فإن الحداثة مرتبطة بشكل عضوي بالوسائل والأدوات التقنية في عصر ما، أي بمسائل غير متعلقة بوجهة النظر في الحياة، وعطف بريجنسكي لها على التوجهات العلمانية فيه وهم كبير. ولكل عصر حداثته؛ لذلك ربط الحداثة بالتجربة المعاصرة مجانب للصواب.

صحيح أن الغرب ما كان ليتقدم دون التخلص من سلطة الكنيسة، ولكن المسلمين لن يتقدموا أبدا دون الحكم الإسلامي. ففي حالة الغرب لا بديل عندهم سوى القمع الكنسي أو القمع الشيوعي أو العلمانية الديمقراطية، أما في حالة المسلمين فإما القمع الشيوعي أو القمع العلماني أو الحكم الإسلامي، ولا تمثل الديمقراطية

خياراً عند المسلمين. وقد كان الحكم الإسلامي فعلياً وتاريخياً هو الدافع إلى تفرد المسلمين لقرون بالحداثة.

أما إضافة بريجنسكي لكلمة (على نطاق واسع) ففيها صواب، حيث إن الرأي العام في عموميته لا يدرك الفرق بين هذه المسائل، وهذا دليل على عدم جواز اعتبار الرأي العام في المسائل الفكرية. إلا أن بريجنسكي في نفس الوقت لا ينظر إلى الجميع على أنهم من ذوي الرأي، فهو نخبوي بطبيعته وكما يدل عليه كتابه. على هذا الأساس فإن هذه الكلمة ليست إلا محاولة من بريجنسكي لإضفاء مصداقية على هذا التعريف للحداثة، وعلى علاقتها بالعلمانية.

● **وهم فهم المسلمين للديمقراطية**

يقول بريجنسكي: «فالديمقراطية العلمانية الغربية مفهوم مثير للمشاكل بالنسبة للإسلاميين؛ لأنه يقتضي في نظر الكثيرين منهم وجود مجتمع إلحادي بالضرورة. وهم يفسرون الاتجاهات العلمانية في الغرب على أنها تعبر عن أفول التفوق الديني».

- إن المسألة أبسط بكثير مما يظنه بريجنسكي: وجهة نظر المسلمين في هذه الحياة معتمدة على الوحي الذي أنزله الله تعالى في القرآن والسنة، فما أرشدا إليه أخذه المسلمون، وما لم يرشدا إليه نبذوه. الديمقراطية العلمانية الغربية تدخل في التصنيف الثاني، لذلك هي واجبة النبذ حسب أحكام الإسلام.

أما أن الإسلاميين يعتبرون أن العلمانية تقتضي وجود مجتمع إلحادي فهذا وهم آخر من أوهام بريجنسكي، فهذه ليست المشكلة الحقيقية. المشكلة هي عدم وجود مجتمع إسلامي مهما كان ظاهره مخادعا: إلحادي، كنسي، بوذي، رأسمالي، اشتراكي، أو مجرد غير إسلامي. وواقع الأمر أن الكثير من استفتاءات الرأي تقول بما لا يدع مجالا للشك إن عامة المسلمين يريدون لمجتمعهم أن يكون إسلامياً، فقصر هذه الرغبة على الإسلاميين وهم آخر من أوهام بريجنسكي.

أما أن الاتجاهات العلمانية تعبر عن أفول التفوق الديني فهذه كلمة لا مفهوم لها لأنها تعمم الخاص، إذ إن مفهوم العلمانية خاص بالقمع الكنسي ولا علاقة للإسلام به، فاستخدام كلمة (الديني) يقصد من ورائها احتواء الإسلام أيضا، وهذا وهمٌ غليظ. ناهيك أن العلمانية هي حل وسط ما بين من أرادوا القمع الكنسي وأولئك الذين أرادوا الإلحاد المطلق في أوروبا، فجاءت العلمانية لتقر بوجود إله، إلا أنه لا يحق له التدخل بالشؤون العامة. ودون خوض في نقض كامل لهذا المفهوم، إلا أن الإنسان لا يملك إلا أن يتساءل: كيف يستقيم لعاقل أن يسيّر حياته بناء على حل وسط؟! أليست هذه سفاهة بحد ذاتها؟!

● **وهم أن الأيديولوجيا الإسلامية غير شاملة**

يقول بريجنسكي: «من المرجح أن يأتي التحدي السياسي الأكثر ديمومة، وبخاصة في البلدان الإسلامية ذات الأغلبية السنية، من محركات شعبية تنادي بالإسلامية كأيديولوجيا سياسية شاملة، لكنها تدعو إلى حكومة دينية من هذا النوع»، ويقول: «الإسلامية، خلافاً للماركسية، ليست أيديولوجيا شاملة تقدم الإرشاد والتوجيه في كافة نواحي الوجود الاجتماعي. وقد تقدمت الإشارة إلى خلوها من التوجه الاقتصادي»، ويقول: «تستخدم لفظة الإسلامية هنا للإشارة إلى الأيديولوجيا المستوحاة من الإسلام، وبالتالي ينبغي تمييزها عن التعاليم الإسلامية. والإسلاميون هم المؤيدون لسياسة تستند إلى الإسلام، بخلاف الأصوليين الإسلاميين

الذين يحبذون حكماً دينياً مباشراً. وينبغي الإشارة إلى التقييم المختلف الذي يفيد بأن الإسلامية، وبخاصة الراديكالية منها، تتراجع بالفعل كما يرى الباحث الفرنسي جيل كيبل».

- نبدأ من الاقتباس الأخير إذ سبقت الإشارة إلى تفريق بريجنسكي بين الإسلامية والأصولية الإسلامية. ولا بد من وقفة متأنية مع سبب تفكير بريجنسكي بهذه الطريقة. إنه رجل ينتمي إلى دين وأيديولوجية تقران بوجود رجال الدين في الحياة، ولذلك إذا كان رجال الدين في سدة الحكم فهذا حكم أصولي، ولو كانوا من المسلمين فهذا حكم أصولي إسلامي. يظهر بدون أدنى شك أن الحبكة بأكملها وهمية بالنسبة للإسلام؛ لأن الإسلام لا يقر ولا يقبل بوجود رجال دين فيه، ولا يقبل ولا يقر بدولة إلهية يدعي فيها الحاكم أنه ممثل الله المعصوم في الأرض، كما هي الحال في الحالة الكنسية. إلا أن الإسلام يقر بوجود علماء فيه، ولا يشترط في الحاكم أن يكون عالماً. كما أن الإسلام يفرض على الدولة أن تكون إسلامية، أي تستند على عقيدة الإسلام وتحكم بأحكام الإسلام، ولكنها دولة بشرية يحكمها أناس تحتمل تصرفاتهم الخطأ والصواب، ولا يدّعون بحال من الأحوال أنهم ممثلو الله المعصومون في الأرض. من هذا الباب، فإن فكرة التفريق بين الإسلامية والأصولية الإسلامية وهمية.

نعود إلى الإسلامية وكونها سياسة أيديولوجية شاملة، فهذا صواب مطلق. إلا أن النقاش لا يجوز أن يتمحور حوله؛ لأنه نتيجة لحقيقة قرآنية وسنة نبوية من كمال الإسلام وشموله على كافة جوانب الحياة، فإذا كنا سنخوض في صواب الفكرة أو خطئها فلا بد لنا أن نخوض في صحة الإسلام أو خطئه. وحيث إن هذه المسألة محسومة عند المسلمين، فإن وجود أيديولوجية إسلامية سياسية شاملة من البديهيات.

أما القول إن الإسلام ليس أيديولوجيا شاملة تحوي كافة المسائل الاجتماعية والاقتصادية، فهو قول غارق في الوهم، ولا يستحق الرد المطول. كيف لا والتاريخ يرينا أن أحكام الإسلام كانت مطبقة في الدولة الإسلامية -التي عكف بريجنسكي على تجنب ذكرها، إذ يبدو أن أصوله البولندية جعلت الرهبة من الفاتحين المسلمين مزروعة في داخله- لقرون، قبل أن تكون هناك علامات دولة متحضرة في أوروبا، وقبل أن تكون هناك علامات لأية دولة في أميركا.

ولعل بريجنسكي وأمثاله ممن يدعي النزاهة الأكاديمية يقرأ كتب (النظام الاقتصادي في الإسلام) لتقي الدين النبهاني و(السياسة الاقتصادية المثلى) لعبد الرحمن المالكي و(الأموال في دولة الخلافة) لعبد القديم زلوم و(النظام الاجتماعي في الإسلام) لتقي الدين النبهاني و(أحكام البينات) لأحمد الداعور و(نظام الحكم في الإسلام) لتقي الدين النبهاني وعبد القديم زلوم ومن ثم يحدد أي مواضع الاقتصاد والاجتماع أغفلها الإسلام.

إلا أن قول بريجنسكي عن التحدي السياسي الأكثر ديمومة قول صائب، ومن السنن الكونية أن يفضي هذا التحدي إلى قيام دولة إسلامية في النهاية، إن شاء الله.

أما قول الباحث الفرنسي بتراجع الإسلامية وخاصة الراديكالية منها، وإيحاء بريجنسكي بتأييده لهذا، فهذا يدل على حالة من التمني لتراجع الإسلامية، جعلت باحثين ومفكرين سياسيين يضعون معايير غير نزيهة ليقيسوا بناء عليها؛ فيخرجوا بالنتائج التي تروق لهم، وهذه ضحالة في التفكير، وسذاجة مثيرة للشفقة ❑

[انتهى]

حزب التحرير: هداف الأحزاب السودانية

نشرت صحيفة الصحافة السودانية العدد ٤٣٦٢ في ٧/٢٧ ٢٠٠٥م عن حزب التحرير هذا التعليق للكاتب سعد الدين إبراهيم: «نجمة الاتجار الحزبي وجائزة (هدّاف) الأحزاب السودانية يستحقها حزب التحرير في السودان... فمنذ أن عرفنا العمل الصحفي تظل نشرتهم شبه اليومية تصلنا... آخرها وصلتنا في ٢٠٠٥/٧/٢١م. وكان بيان صحفي بعنوان: «ابيي الفتنة القادمة» ما لفت نظري أنهم يكادون يكونون الفئة الوحيدة التي مازالت تطلق على الحركة الشعبية «حركة التمرد» ❑

بريطانيا ترصد المسلمين

نقلت رويترز أن الحكومة البريطانية تستعد لنشر وحدات خاصة لمراقبة المسلمين في كافة أرجاء بريطانيا، وتضم هذه الوحدات ضباطاً من شرطة لندن، وقال أحد ضباط الشرطة: «إذا كان عليكم أن تميزوا بين الشخص المتطرف والخطير وهما أمران مختلفان، عليكم أن تعرفوا الجالية المسلمة». ❑

مفتي أستراليا كغيره

هو كغيره من المفتين القدامى والجدد يفتي للسلطان والحاكم ضد بني أمته. قال هذا المفتي كلاماً عاماً يطال الصالح والطالح حيث قال في حديث إلى صحيفة «ذي أستراليان» إن رجال الدين المتطرفين يشكلون مرضاً مشابهاً للإيدز لا يمكن معالجته بالأسبرين، وكل مسؤول ديني يدعو إلى الكراهية ضد المجتمع الأسترالي يجب طرده. وإن بيع كتب تحض على الكراهية والعنف هو كبيع السمّ، ويجب سحبها من رفوف المكتبات. ونسي هذا المفتي أن الدول التي تدعي الديمقراطية تدعي أيضاً ما يسمى حرية الرأي وحرية النشر والتأليف، وما عليه سوى مراجعة كتاب سلمان رشدي آيات شيطانية ليعرف أن مطالبات تلك الدول هي فقط لكمّ أفواه المسلمين، وإطلاق العنان لأعداء الإسلام والمسلمين ❑

كارازاي ومشرف

كلاهما يعمل عميلاً لأميركا، وكلاهما يكيد للإسلام وأهله، وكلاهما بدأ حملة ضد المدارس والمعاهد الإسلامية. وأفاد مسؤول أمني باكستاني للصحف قائلاً: «أوقفنا أكثر من مئة ناشط مشتبه بهم خلال عملية استهدفت المدارس القرآنية، ومكاتب الجماعات الإسلامية، ومنازل خاصة في أنحاء البلاد، وأن الرئيس مشرف أعطى أوامر واضحة للقضاء على التطرف والعنف الديني». أما زميل مشرف في الكيد للإسلام وهو كارازاي فقد صرّح، خلال زيارته للندن، بأن بعض المدارس الإسلامية تعمل كمعسكرات تدريب لتجار الموت، وحض على وجوب إغلاقها فوراً. وكان طوني بلير الذي استقبل كارازاي قد دعا قبله إلى إغلاق المدارس الدينية ❑

الوزير قناة اتصال

نشرت عدة صحف ووسائل إعلام مرئي ومسموع نبأ الاتصالات التي أجراها الوزير طراد حمادة (وهو وزير لبناني مسمى من حزب الله) مع الإدارة الأميركية، ونقلت رويترز عن مصدر دبلوماسي بأن الوزير قناة اتصال جديدة بين الإدارة الأميركية وحزب الله. وذكر دبلوماسيون أميركان أن الاتصالات مع وزراء في الحكومة مقربين من حزب الله وليسوا أعضاء فيه سيكون مسموحاً بها على أساس كل حالة على حدة. ومن ضمن من قابلهم الوزير أليزابيت ديبل نائب مساعد وزير الخارجية، ثم السفير الأميركي في بيروت (فلتمان) لكن الوزير الذي اعترف عبر عدة فضائيات لبنانية بأنه أجرى اتصالات نفى أن تكون هذه الاتصالات ذات خلفية حزبية بقدر ما هي اتصالات رسمية بصفته وزير في حكومة لبنانية ❑

جنود وطلاب

انخرط العديد من الشبان الأميركيين ممن تتراوح أعمارهم بين ٢٠-٢٥ سنة في خدمة قوات الحرس الوطني في لويزيانا، للاستفادة من المنح الدراسية المقدمة من الحكومة الأميركية، لكنهم لم يتوقعوا أن يُطلب منهم الذهاب للقتال في العراق. وقال أحد المتطوعين «أنا مثل جميع الموجودين هنا، انخرطت في الحرس الوطني كي أتمكن من

الالتحاق بالدراسة الجامعية المجانية لمدة خمس سنوات» وقال جندي آخر: «كنت في حانة للشرب عندما اتصلوا بي، وفي البداية اعتقدت أن الأمر مجرد مزحة، لكن تبين لي فيما بعد أن الأمر غير ذلك تماماً» والسؤال الذي يرد هنا هو: ماذا يدل ذلك العمل، والاستعانة بالحرس الوطني؟ هل هناك نقص في الجيش والمارينز؟ هل هذا يدل على أن أميركا حشدت في العراق وأفغانستان أقصى ما تستطيع، وبالتالي لا يمكنها خوض حرب ثالثة في مكان آخر من العالم؟ وهل هذا هو مقتل أميركا أم ماذا؟! ❑

تزوير الانتخابات

نقلت مجلة نيويوكر الأميركية عن مسؤولين حاليين وسابقين أن إدارة بوش شرعت العام الماضي، على رغم اعتراضات الكونغرس، بتنفيذ خطة سرية للتأثير في الانتخابات العراقية التي جرت في كانون الثاني الماضي. وقال كاتب التحقيق وهو سيمون هيرش: «كان من الصعب تبين أساليب تلك الجهود المستترة ونطاقها، وإن تلك الأنشطة ظلت بعيدة عن السجلات، اضطلع بها ضباط متقاعدون من وكالة الاستخبارات المركزية وآخرين من خارج الحكومة، وأنها كانت تستخدم أموالاً لم يقرّها الكونغرس» ونقلت المجلة عن مسؤولين حاليين وسابقين في الاستخبارات والجيش قولهم إن بوش تجاهل معارضة الكونغرس وتدخل سراً ❑

أميركا غير جادة

أكد وزير سابق في حكومة علاوي أن أميركا غير جادة في بناء الأجهزة الأمنية العراقية، وأن وزارة الدفاع العراقية لا تملك صلاحية شراء أسلحة أو تخصيص موازنة للتسلح، وأن وزير الدفاع وقيادته العسكرية لا يملكان صلاحية التعيين أو الاستعانة بضباط الجيش السابق من رتبة رائد فما فوق. وقال مالك دوهان الحسن إن الأميركيين يعملون على الطريقة التركية في تشكيل الجيش العراقي والأجهزة الأمنية الأخرى، وأنهم وحدهم يملكون صلاحية اختيار وتعيين ضباط وزارتي الداخلية والدفاع من رتبة رائد فصاعداً، وأن «القيادات التي يختارها الأميركان تخضع لتوجيهاتهم مباشرة، ومن يخرج عن الخط المرسوم يُطرد» وهم مسؤولون عن الملف الأمني ❑

حوار حضارات يا ترى؟!

شنّت الصحافية الإيطالية (أوريانا فلانشي) هجوماً عنيفاً على الإسلام كعادتها، معتبرة أنه «العدو في عقر دارنا» وهو لا ينسجم مع الديمقراطية «ولا يمكن التحاور معه» ونحن في حرب هل أدركنا ذلك أم لا؟ وأدانت الصحافية «مهزلة التسامح والكذب واندماج المسلمين في المجتمعات الغربية» وأضافت «إن العدو ليس أقلية ضعيفة وهو في عقر دارنا. وإنه عدو نتعامل معه كالصديق، لكنه يكنّ لنا الحقد ويحتقرنا بشدة، إنه عدو يحوّل المساجد إلى ثكنات ومعسكرات تدريب ومراكز تجنيد الإرهابيين. وهي ترفض الحوار مع الدين الإسلامي؛ لأن الإسلام هو القرآن، والقرآن لا ينسجم مع الحرية والديمقراطية، ولا ينسجم مع حقوق الإنسان» ❑

حوار بالقنابل!

صرح في منتصف تموز (يوليو) النائب في الحزب الجمهوري في أميركا (توم تانكريدو) خلال مقابلة تلفزيونية ضمن برنامج حواري إذاعي في فلوريدا، بعد أن سُئل عما ينبغي أن تفعله الولايات المتحدة رداً على احتمال قيام «الأصوليين الإسلاميين المتطرفين» (حسب قول مقدم البرنامج) بهجوم نووي على هذا البلد (أميركا) فأجاب النائب الأميركي: «إن إحدى الردود المحتملة هي تدمير أماكنهم المقدسة» فسأله المقدم «هل يعني ذلك ضرب مكة بالقنابل؟» أجاب تانكريدو: نعم. وقال إن من الضروري بيان أن هناك احتمالية لتدمير هذه الأماكن ❑

محنة المسلمين في بريطانيا

بعد الانتقام الذي مارسه بعض الإنجليز ضد المسلمين هناك، والتصرفات العنصرية ضدهم، صدرت بعض الفتاوى المستهجنة من بعض القيادات التي تتولى مهمات جمعيات ومؤسسات إسلامية، ومن هذه الفتاوى فتوى تجيز للمسلمات في بريطانيا بخلع الحجاب الشرعي تفادياً لتعرضهن إلى اعتداءات من قبل الإنجليز. وحملت

هذه القيادات أئمة المساجد المسؤولية عما أسمته «انحراف بعض الشباب المسلم إلى التطرف» ❑

مفتي جديد

تم تعيين الدكتور أحمد بدر الدين حسون مفتياً لسوريا، وكان أول تصريح له إدانة العمليات «الانتحارية». انتخب حسون عضواً لمجلس الشعب (البرلمان) السوري في الأعوام ١٩٩٠م و١٩٩٤م، ثم عين مفتياً لمدينة حلب، إلى أن أصبح الآن مفتياً لسوريا. وكان أول تصريح له يتضمن قوله: «رفض جرائم الخطف التي تجري في العراق، وضرورة وقف العمليات الانتحارية التي تؤثر سلباً على الشعب العراقي» ودعا إلى توحيد جميع المذاهب الإسلامية لتقف في وجه «المدّ الأصولي» ولا يُعرف ماذا يقصد بالمد الأصولي. وكان الشيخ حسون شارك في «عدة مؤتمرات للحوار بين المذاهب الإسلامية والأديان السماوية، آخرها لقاء عقد في دير مارموس في ريف دمشق، وشارك فيه نواب أوروبيون ورجال دين مسيحيون وعلماء مسلمون وقال حسون: قمنا بإلغاء الفصل بين القوميين العرب وبين الإسلاميين، وأعلنا أن لا يسار ولا يمين في سوريا» ❑

نقص العسكر الأميركيين

قدمت هيلاري كلينتون (بوصفها عضو مجلس الشيوخ) مشروع قانون تبناه أعضاء ديمقراطيون في مجلسي الشيوخ والنواب؛ لزيادة عدد القوات الأميركية بحوالى مئة ألف جندي، معتبرة المشروع «أولوية وطنية» وجاء في المشروع الذي يحمل اسم قانون دعم الجيش الأميركي، إن «احتياجات الحرب في العراق فرضت مشاكل جدية بالنسبة إلى جهوزية القوات المسلحة في المستقبل» وقالت كلينتون إن وزارة الدفاع تعتبر بأن هناك حاجة لزيادة عديد الجيش، وإن هدفها من المشروع تخفيف العبء عن القوات الأميركية التي يُضطر أفرادها الآن للخدمة فترات أطول من المعتاد بعيداً عن عائلاتهم، وتخفيف العبء عن قوات الاحتياط ❑

تسليم معلومات

إثباتاً لحسن النوايا، ذكر مسؤول في منظمة بدر التابعة للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية لصحيفة الحياة اللبنانية أن سوريا قدمت معلومات مهمة عن تحرك عناصر مقاتلة داخل العراق، وأن المعلومات شملت «أسماء عناصر قيادية في شبكات إرهابية من جنسيات مختلفة دخلت الأراضي العراقية في الشهور الماضية» وإن دمشق أرفقت الملف بصورة لهذه العناصر التي يعتقد أنها تقود خلايا خطرة في المدن العراقية، وأن السوريين فتحوا «خطاً ساخناً مع وزارة الداخلية العراقية لمواكبة المعلومات الأمنية باستمرار، ولمح إلى دور إيراني في إقناع المسؤولين السوريين بالتعاون مع بغداد المحتلة من قبل أميركا ❑

السفراء وبغداد

ذكرت الصحف الناطقة بالعربية أن تجمع لجان نصرة العراق في سوريا ذكر في بيان له أن المقاومة في العراق باتت قوة أساسية، ما دفع السياسة الأميركية للبحث عن مداخل للاتصال ببعض أطرفها، وللإيحاء بوجود مثل هذه الاتصالات التي نفتها الفصائل الرئيسية. وانتقد البيان بعض الأنظمة العربية والإسلامية بسبب إرسالها بعثات ديبلوماسية لشرعنة الاحتلال وترسيخه ❑

التعذيب في العراق

كشف أحد الأحزاب العراقية للصحف أن لديه صوراً وأشرطة فيديو تُظهر عمليات تعذيب باستخدام الكهرباء والنار مارستها الأجهزة العراقية ضد معتقلين من أهل السنة، وتضمنت الصور عمليات تهشيم لعظام الجمجمة والساعدين، وأن بعض العلماء قضوا تحت التعذيب. وأضاف أن بعض الصور تُظهر استخدام المثقاب الكهربائي والمكواة، وقال إن هذه الصور عُرضت على رئيس الحكومة (إبراهيم الجعفري) وقوات الاحتلال، وممثل الأمين العام للأمم المتحدة، وأكد الجعفري «وجود اختراقات كبيرة للأجهزة الأمنية من جهات تعمل على إثارة النعرة الطائفية» ❑

تعاون جزائري

ذكرت «الحياة» في ٧/١٠ أن

وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية شكلت عام ٢٠٠٢م في الجزائر خلية سرية مشتركة مع مصالح الأمن بهدف تنسيق العمل لمواجهة تهديدات الجماعات المسلحة العابرة للحدود، وتبادل المعلومات الاستخبارية، وذكرت صحيفة واشنطن بوست إلى أن الخلية تدعى «قاعدة التحالف» ونم تشكيل خلايا سرية مماثلة في كل من مصر والأردن ❑

هيئة رسمية للفتوى

أعلن ملك المغرب عن استحداث: «هيئة فتوى» داخل المجلس العلمي الأعلى الذي يتولى «إعادة تنظيم الحقل الديني في البلاد». وأن من يحدد مهمات هذه الهيئة ما يسمى «إمارة المؤمنين» وذلك قطعاً لدابر الفتنة «والبلبلة في الشؤون الدينية، وطلب حاكم المغرب من أعضاء المجلس العلمي ان ينخرطوا في حركة «التصحيح الشامل» وحدد لذلك سقفاً يقوم على الاجتهاد المنفتح على التطور والتقدم، ضمن الحفاظ على ثوابت الهوية المتميزة والإجماع الراسخ على مقدسات الأمة من عقيدة وسطية، وملكية ديمقراطية، ووحدة ترابية» ويبدو أن هذه الشعارات يقصد منها فقط إعطاء صك براءة دينية لكل أعمال النظام، ومخالفاته للإسلام، وظلمه لأهل المغرب ❑

صدقية بوش

أظهر استطلاع للرأي أجرته شبكة (ان بي سي نيوز) وصحيفة (وول ستريت جورنال) أن نسبة الأميركيين الذين يعتقدون بأن بوش أمين وصريح انخفضت إلى ٤١% من ٥٠%، وارتفعت نسبة من يشكون في صدقيته إلى ٤٥% من ٣٦%، وأكد الاستطلاع أن قضية العراق باتت قضية رئيسية لدى الرأي العام، وحلّت محل الاهتمامات الداخلية لدى الأميركيين، وأن ٤٠% يرون العراق أولوية في الولايات المتحدة، مقابل ٣٦ في المئة يرون التوظيف أكثر أهمية ❑

السفراء الأجانب ولبنان

تواترت أنباء تدخل السفراء الأجانب من الدول الغربية في أوضاع لبنان، وننقل تصريحات ثلاثة سفراء منهم في يوم واحد. فقد أعرب السفير الأميركي جيفري فيلتمان عن شعوره بتفاؤل كبير بمستقبل لبنان، وقدرته على الصمود، وتجاوز التحديات السياسية والاقتصادية والطائفية. وفي اليوم نفسه نبّه السفير الفرنسي إلى سياسة الترهيب والترويع التي ترمي إلى جعلكم تشكون في قدراتكم على أن تحكموا أنفسكم بأنفسكم وإضعافكم من الناحية النفسية، وسوف تواكبكم فرنسا والاتحاد الأوروبي في طريق النهوض والانخراط الكامل في المنطقة وفي العولمة. أما سفير إسبانيا فقد قال: إننا في إسبانيا مندهشون ومرتبكون نوعاً ما حيال التطورات السياسية في لبنان، فمن الصعب علينا أن نفهم كيف أن غالبية انتخبت في شكل شرعي، وبإشراف مراقبين دوليين، غالبية ساحقة تناهز الثلثين لا يمكنها تشكيل حكومة. وأضاف السفير: سأكون صريحاً، لا أريد أن أتدخل في الشؤون اللبنانية، لكن من الصعب تفسير ما يجري هنا، وإذا بقيت في لبنان حكومات أشبه ببرلمانات صغيرة، فإنني أعتقد أنه سيصبح وسيظل بلداً هشاً جداً من الداخل والخارج ❑

إطلاق موقوفي الضنية

بعد سجنهم مدة خمس سنوات ظلماً، وفي حالة توقيف دون محاكمة وحكم، أفرج عنهم بعفو عام مقابل الإفراج عن سمير جعجع، وشمل العفو موقوفي مجدل عنجر، لكن توقيفهم مدته أقصر ولُفّقت ضدهم تهماً زائفة. قيل عن موقوفي الضنية كلاماً فيه تحامل واستهداف متعمد، منه أنهم أطلقوا النار على الجيش وقتلوا بعض أفراده وأنهم لا يستحقون الإفراج، ولولا الصفقة السياسية التي تقتضي خروج جعجع لما خرجوا، وفي المقابل لم يسأل هؤلاء المتحاملون أنفسهم السؤال التالي: ألم يطلق جعجع النار على الجيش شهراً كاملاً في قتاله ضد جيش عون مما أدى لقتل العشرات والمئات، فكيف يستحق هو أيضاً الإفراج عنه؟ إذا كانت الأمور تقاس ببعضها بعيداً عن المبادئ يرد سؤال آخر هو: ألم يطلق جماعة أنطوان لحد في الشريط الحدودي سابقاً النار على الجيش، ويسجنوا مدداً ترواحت بين شهر وشهرين؟ ❑

«العـــفـــو»
في الشريعة الإسلامة

محمود عبد الكريم حسن

يحاول بعض المعاصرين من المهتمين بتجديد الفقه الإسلامي أو تطويره، إثبات أن في الشريعة الإسلامية منطقة فراغٍ ترك الشارع بيانَ الأحكام الشرعية فيها. ويستندون في ذلك إلى ما جاء في بعض النصوص الشرعية من أن الله تعالى أحلَّ أشياء وحرَّم أشياء، وسكت عن أشياء أو عفا عنها رحمةً بالناس، فيعتمدون على هذه النصوص للقول بأن في الشريعة منطقة عفو، وأن منطقة العفو هذه هي منطقة فراغ.

وهذا القول ليس خطأً وحسب، بل هو خَطِرٌ أيضاً، إذ إن الذين يركِّزون عليه ويروِّجون له، يروِّجون في الوقت نفسه لأفكار أخرى، إذا نظرنا إليها مجتمعةً نجدها تمهِّد لتغيير وتحريف كثير من الأحكام الشرعية، وبخاصة تلك التي تتنافى مع الأفكار العلمانية، بل ومع سياسات النظم الغربية المهيمنة، ومع ما نصت عليه قوانين الأمم المتحدة، كما في مسائل حق الناس في التشريع وفي اختيار النظم والقوانين التي يريدونها. وفي الحريات العامة كحرية العقيدة وحق الردة. وكحقوق المرأة ومساواتها بالرجل، وحقها في تولي الحكم، وكاستباحة الربا وغير ذلك.

إن من هذه الأفكار والقواعد الخطرة فكرة تغير الأحكام بتغير الزمان أو المكان، وفكرة أن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق بها، وإسقاط معنى الحكمة على ما أنتجه الغرب في الثقافة أو التشريع. وكذلك فكرة مقاصد الشريعة وعرضها وكأنها نهج آخر غير نهج الشريعة، وفكرة مرونة الشريعة وتطويرها، وتجديد الخطاب الديني، وفكرة الحوار بين الأديان والثقافات، وقبول الآخر بمعنى التلاقح والتثاقف الحضاري.

إن هذه الأفكار يتفاقم خطرها إذا أُخذت مجتمعةً، وجُعلت منهجاً، واتُّخذت قواعد لفهم الشريعة. وسنتناول في هذه المقالة مسألة العفو في الشريعة الإسلامية.

يستند من يقول بمنطقة الفراغ في الشريعة الإسلامية إلى ما رواه ابن ماجة والترمذي عن سلمان الفارسي قال: «سُئل رسول الله ﷺ عن السمَّن والجبن والفِراء فقال: الحلال ما أحلَّ الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا لكم»، وإلى ما أخرجه الدارقطني من حديث أبي ثعلبة الخشني رفعه: «إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيِّعوها، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمةً لكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها» قال عنه النووي: حسن الإسناد. وعن أبي الدرداء رفعه: «ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو؛ فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً، وتلا: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم]» أخرجه البزار وقال: سنده صالح

وصححه الحاكم.

وبناء على هذه النصوص يقولون بأن هنالك أشياء سكت عنها الشارع أو عفا عنها ولم يبيِّن حكمها؛ ولذلك فإنَّ في الإسلام منطقة فراغ، والفقهاء فيما سلف قد ملؤوها بما يناسب عصرهم، وتقتضي الحكمة أن تتغير اليوم هذه الأحكام لتتلاءم مع عصرنا وزماننا. وباقتران هذه الفكرة بغيرها مما ذكرناه أعلاه تَتَّسعُ دائرة هذه المنطقة -كما نلاحظ في كثير من الأقوال والفتاوى المعاصرة- لتضمَّ أشياء مما حرَّم الله فتباح، أو مما أباح فتحرَّم، وليصبح العفو ومنطقة الفراغ دليلاً شرعياً، ولينطلي مثل هذا الزعم على مشايخ وطلبة علم، وعلى مهتمين بعلوم الشريعة وبالعمل الإسلامي في زمن هبط فيه مستوى العلم والعلماء.

إن من يتصدى للتفسير والفتوى ينبغي أن يكون نظره ورأيه خاضعاً لنصوص الشرع وقواعده، بحيث يفسِّر النصوص المجملة والمتشابهة بالنصوص المبيِّنة والمحكمة، وبحيث لا يفسِّر النص بمعنًى ينقضه نص آخر، مما يجعل دلالات النصوص متعارضة.

فالنص الذي يحتمل أكثر من معنًى إذا أُخِذَ وحده، وكان بعض هذه المعاني التي يحتملها متعارضاً مع نصوص أخرى، فإن هذه المعاني التي نقضتها النصوص الأخرى يجب ردها، إما بشكل كامل، أو في موضع التعارض.

وكذلك النص أو اللفظ المجمل لا يصح أن يسرح العقل في اختيار المعنى الذي تميل إليه النفس فيه، أو الذي يتفق مع الرأي أو الهوى، وإنما يجب أن يُلتزمَ فيه بالمعنى الذي تبيِّنه النصوص الشرعية. وهذا هو معنى أقوال العلماء: إن القرآن يفسِّر القرآن، والسنة تفسر القرآن وتبيِّنه، فتبيِّن مجملَه، وتقيِّد مطلقه، وتخصِّص عامه، ويكون القطعي حاكماً على الظني، والأرجح ثبوتاً أو معنًى مقدماً على المرجوح. قال الشاطبي: «إذا بنينا أن السنة بيانٌ للكتاب، فلا بد أن تكون بياناً لما في الكتاب احتمالٌ له ولغيره، فَتَبَيِّنٌ السنة أحد الاحتمالين دون الآخر، فإذا عمل المكلف وفقَ البيان أطاع الله فيما أراد بكلامه، وأطاع رسوله في مقتضى بيانه»[1]. وينبغي فيمن يستنبط الحكم الشرعي أو يفسر المعنى ويُبَيِّنُه أن يحيط بقواعد الاستنباط والتفسير وبالنصوص والوقائع الشرعية ذات العلاقة فيما يفتي فيه، وبغير ذلك فقد يفتي بالعام في موضع الخصوص أو العكس، وقد يفتي بالمنسوخ، وقد يفتي في الفروع بما ينقض الأصول، وهذا فِعل الجهلة البطلة، أو المحرفين لدين الله الذين يكتمون الحقائق الشرعية لغاياتٍ عندهم، وهو دأب الذين يزاولون العلم ويتخذونه سلَّماً للوصول إلى أهوائهم. عن عمر ﷺ قال: «ثلاث يهدمنَ الدين: زلة العالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مُضِلّون».

وعلى هذا الأساس ننظر في معنى «وما سكت عنه فهو عفو» وفي معنى لفظ «العفو» الوارد في الأحاديث التي نحن بصددها، وهل يصح تفسيرها بأن في الشريعة منطقة فراغ، أو بأن هناك أشياء لا حكم لها في الشريعة؟

أولاً: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة ٣]، ويقول: ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [آل عمران ١٣٨]، ويقول ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام ٣٨]، ويقول: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل

٨٩]، ويقول: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل ٤٤]. فهذه نصوص واضحة الدلالة على كمال الشريعة، وأن فيها بيان كل شيء، ولو كان معنى «العفو» أن هناك أشياء لم تبين الشريعة حكمها لكانت النصوص متناقضة، ولما كان القرآن بياناً، إذ يكون بياناً فيما بيَّنه ويكون نقيض البيان فيما ترك بيانه، ولما كان تبياناً لكل شيء إذ هناك أشياء لم يبيِّنها، ولما كان الدين كاملاً إذ تقتضي منطقة الفراغ وجود أشياء لم يبين الله لنا الحكم فيها، وهذا نقيض اكتمال الدين، ولكان النبي ﷺ لم يبين للناس الشريعة كاملة. وعليه فلا يصح أن يُقال إن في الشريعة منطقة فراغ، هذا من جهة.

ثانياً: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه ١٢٣-١٢٤]. ويقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء]، ويقول: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل]، ويقول: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ [البقرة ١٢٠]، ويقول: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر ٧]، ففي هذه الآيات يبين الله سبحانه وتعالى أن الهدى والرحمة هي من عنده وحده، وأنها بالكتاب وبهذه الرسالة التي جاء بها الرسول ﷺ، وأن الهدى والرحمة في اتباع ما أتانا من الله تعالى، وأن اتباع أي شيء أو أخذ أي شيء من خارج الرسالة هو حرام، وفيه الضنك والشقاء. هذا ما تدل عليه هذه النصوص، فلو كان في الشريعة منطقة فراغ لكان التشريع في هذه (المنطقة) قولاً بغير علم وبغير هدى من الله، ولكان اتباع هذا التشريع إعراضاً عن ذكر الله، وأخذاً مما لم يأتنا به الرسول ﷺ؛ وعلى ذلك فالقول بمنطقة فراغ يتناقض مع كون الرسالة هدًى ورحمة، وهو قول مردود من هذه الجهة أيضاً.

وعلاوة على ذلك فإن الحديث يقول: «وسكت عن أشياء رحمةً لكم»، فالنبي ﷺ فسَّر السكوت بأنه رحمة، ونحن نعلم أن الرسالة هي الرحمة، والبيان من الله تعالى هو الهدى والرحمة؛ وعلى ذلك فإن السكوت الذي هو رحمة هو عينه تشريع وبيان، فهو سكوت عن التحريم أو الإيجاب أو عن زيادة التكاليف وليس عن البيان، وسيتبين هذا لاحقاً.

ثالثاً: إنه على فَرَضِ وجود منطقة فراغ في الشريعة، نسأل: من الذي سيقوم بالتشريع في هذه (المنطقة)؟ وكيف سيكون التشريع فيها؟

فإن كان ذلك سيكون بالرجوع إلى النصوص والقواعد الشرعية والاستدلال بها، فذلك حينئذٍ استنباط شرعي راجع إلى القرآن والسنة، وهذا ينفي وجود منطقة فراغ، وفي هذه الحالة يصبح القول بمنطقة فراغ كلاماً فارغاً غير دالٍ على معناه.

وإن كان ذلك سيكون بغير رجوع إلى نصوص أو قواعد شرعية، فهذا يعني أن هناك مسائل الحكمُ فيها ليس مصدره النصوص الشرعية، وهذا يجعل الحكم والتشريع في هذه المسائل لغير الله تعالى، وهذا حرام قطعاً، ومنقوض بقوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ﴾ [يوسف ٤٠] وبنصوصٍ كثيرة؛ وعلى ذلك فإن القول بمنطقة فراغ في

الإسلام مردود من هذه الجهة أيضاً.

وعلى ذلك فإن الجدال لإثبات أن في الشريعة منطقة فراغ هو مِراء منهيٌ عنه، وهو مناقض للنصوص القطعية. ولما كان الشريعة هي الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال العباد، فإنه ما من فعل للعبد إلا وله في الشريعة حكم، عِلمه من عِلمه، وجهله من جهله. ومن ظن أن الأمر يحتمل غير هذا فقد توهم، ولربما اختلط عليه الأمر أثناء اطلاعه.

وهناك شبهتان يثيرهما من يزعم أو يميل إلى زعم أن في الإسلام منطقة فراغ، سنردهما فيما يلي قبل بيان معنى العفو الذي نحن بصدده.

الأولى: هي أن نصوص الشريعة متناهية، والوقائع غير متناهية، والمتناهي لا يفي بغير المتناهي، والنتيجة أن في الشريعة منطقة فراغ.

والجواب على هذه الأغلوطة هو: نعم إن النصوص متناهية، ولكن الشريعة قد جاءت بنصوص عامة، وبصيغ تستنبط منها القواعد العامة، وجاءت بعلل، وعلل الأحكام هي بمثابة قواعد كلية أو تستنبط منها القواعد الكلية، وعلى هذا فإن الشريعة وإن كانت محدودة النصوص، فبما تفيده من قواعد عامة وكلية تفي بكل الوقائع. هذا هو رد هذه الشبهة، وهو ما عليه أئمة الفقه والأصول، وربما اختلط الأمر على من ذكر هذه الشبهة بسبب ما ذكره بعض الأئمة فيما سلف، فاستدل بمثل هذا القول على منطقة فراغ؛ لذلك ننبه هنا إلى أن من ذكر من الأئمة فيما سلف عن محدودية النصوص وعدم محدودية الوقائع لم يذكرها لمثل هذا الاستدلال الساقط، وإنما ذكرها للاستدلال على وجوب استنباط العلل، وعلى شرعية تخريج وتنقيح المناط في الوقائع، أي ذكروها للاستدلال على لزوم استنباط القواعد العامة والكلية. ولقد بيَّن كثير من الأئمة كمال الشريعة ووفاءها بالوقائع بما فيها من عموم وقياس. قال الشاطبي: «جرت الأحكام الشرعية في أفعال المكلفين على الإطلاق، وإن كانت آحادها الخاصة لا تتناهى. فلا عملَ يُفرض ولا سُكون إلا والشريعة حاكمةٌ عيه إفراداً وتركيباً، وهو معنى كونها عامة»[٢].

الثانية: إن الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل ٨٩] لا يعني كل شيء، والشبهة هنا: هل في القرآن الكريم علوم التاريخ والجغرافيا والفلك والفيزياء وما شاكل ذلك؟ وهل فيه علم الغيب؟

والجواب هو: إن النصوص تدل على كمال الدين وبيان كل شيء في أحكام أفعال العباد من حيث الأمر والنهي والإباحة، أي فيما يتعلق بالتشريع أي التكليف والتعبد؛ فلا يجوز أن ينسب إليه ما ليس فيه وما لم ينزل لأجله، وكذلك لا يجوز أن يزعم نقصانه عما جاء لأجله. وتلك الأمور المذكورة هي من أمور الدنيا، فهي من الأبحاث أو الحقائق أو الأحكام المادية الوصفية التي أعطى الله سبحانه وتعالى الإنسان إحساساً وعقلاً مكَّنه من معرفتها ومن الحكم فيها. قال ﷺ: «أنتم أدرى بشؤون دنياكم». أما علم الغيب فلا علاقة له بالأمر والنهي.

قال الشاطبي عن هذه النصوص الدالة على كمال الدين وبيان الشريعة لكل شيء: «فأما الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد». ثم قال: «فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصلح أن ينكر منه ما يقتضيه»[٣]. والشريعة إنما تبين

أحكام أفعال الإنسان، وهذه من أمور الدين وليست من أمور الدنيا.

وإذا ثبت ردُّ تفسير «العفو» بمنطقة فراغ، فما هو معنى «العفو»؟

لقد ورد لفظ العفو في نصوص شرعية كثيرة، وجاء ذكره في القرآن الكريم في ما يزيد على أربعين موضعاً. والمعنى في كل هذه المواضع يدور حول معنى المغفرة والصفح والتسامح، والتجاوز عن الذنب أو عن التقصير، وعدم المؤاخذة، والتخفيف والتسهيل في التكليف، والتنازل عن المطلوب أو عن بعضه، والمعنى الوارد في الأحاديث التي نحن بصددها لا يخرج عن هذه المعاني. قال الشوكاني في فتح القدير تفسيره الآية ١٨٧ من سورة البقرة: «﴿ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ ﴾ يحتمل العفو من الذنب ويحتمل التوسعة والتسهيل».

وسأبين فيما يلي معنى «العفو» في هذه الأحاديث، ثم أؤيد ذلك بنصوص شرعية، ثم أذكر بعض أقوال العلماء المتضافرة على هذا المعنى.

إن لفظ «أشياء» في الأحاديث يتضمن الأفعال ولا يقتصر على الأعيان؛ لقوله ﷺ: «فرض فرائض»، «وحد حدوداً». ولأن قوله: «الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرَّم الله في كتابه» يتضمن ما أحلَّه وما حرَّمه من أفعال. ومعنى هذه النصوص هو أن هناك أشياء أمر بها تعالى، وجاءت أوامر تتناول تفاصيلها أو بعض تفاصيلها وما يتفرع عنها، فيجب القيام بها وبتفاصيلها كما فرضها تعالى وحددها، أي كما بيَّنها. وهناك أشياء نهى عنها فيجب تركها، وهناك أشياء جاء الأمر بها عاماً، ولم يعين الشارع تفصيلاتها، أو الجزئيات المندرجة تحتها، أو كيفية القيام بها، وفي هذه الأخيرة يقع العفو، وذلك كالقتال المأمور به، فإن الأمر به جاء عاماً ولم يحدد أدواته أو آلته، ولم يحدد أساليبه أو خطته، ولم يلزم بأسلوب معين لإنجازه. وإعطاء الشارع للمكلف حق اختيار أي من الوسائل أو الأساليب لتنفيذ هذا الأمر هو المسمّى «العفو». أما إذا جاء من الشرع ما يمنع شيئاً من هذه الوسائل أو الأساليب على وجه الخصوص، فإن اتخاذ هذه الوسيلة أو الأسلوب يعد مما حرمه الله، ويعد من حدود الله، فلا يجوز انتهاكه أو الاعتداء فيه. والوسائل والأساليب والأفعال التي تندرج تحت الدليل العام لا يقال إن حكمها غير مبين في الشريعة، وإنما يمكن أن يقال ليس فيها نص خاص، أو ليس فيها بعينها نص، ولكن هناك نص عام يبين حكمها. ونص الحديث بأنه سكت عنها ولم يذكرها وجعلها من العفو. هو دليل على إباحتها. وهو بمعنى التسهيل والتخفيف والتوسعة، وعدم التقييد وزيادة التكليف. فالله سبحانه وتعالى أمر بإنجاز الأمر -وهو القتال هنا- ولم يكلف بأسلوب معين أو بوسيلة معينة؛ لأن هذا يكون زيادة في القيود والتكاليف، وإنما أباح للمكلفين أن يختاروا من الوسائل والأساليب ما يرونه، بشرط المحافظة على إنجاز الأمر. وعدم التكليف بفرد معين من الأفراد المؤدية إلى إنجاز الأمر هو عفو؛ لأن هناك -في علم الله- بين هذه الأفراد ما هو أفضل من غيره، وما فيه تقرُّب أكثر إلى الله تعالى. فكان السكوت عن تعيين فرد معين إباحةً لكل الأفراد، وكانت هذه الإباحة تسهيلاً وتخفيفاً وسعةً. فالحديث يقول: «وسكت عن أشياء رحمة لكم» أي إنه شرع لكم إباحة

الاختيار من بين أفراد عديدة ولم يلزمكم بفرد معين، وبهذا يكون تسهيلاً وتخفيفاً في التكليف، وبهذا يكون رحمةً كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ ﴾ [الأنفال ٦٦].

وما ورد في الأحاديث يؤكد هذا المعنى، فالنصوص تقول: «فلا تبحثوا عنها» وفي روايات: «فلا تسألوا عنها». وتقول: «فاقبلوا من الله عافيته» فإذا جاء أمرٌ من الشارع عاماً في زمن النبي ﷺ، ثم جاء من الصحابة من يسأله عن كيفية تنفيذ الأمر، أو يطلب تحديداً لبعض تفاصيل هذا الأمر، فإن ما يقوم به هذا السائل هو أنه يطلب تقييد نفسه وتقييد المسلمين بكيفية معينة، أو بأمر واحد من أمور عديدة خيَّره الشارع في الاختيار من بينها، وبذلك يحرِّم سائر المباحات في هذا الأمر، ومثل هذا الفعل من هذا السائل منهي عنه شرعاً؛ لأنه قد يؤدي إلى أن ينزل التشريع جواباً لذلك السائل بتحريم مباح أو بمزيد من التكاليف. روى مسلم وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرَّم فحرِّم عليهم من أجل مسألته». وعند أحمد عن سعد عن النبي ﷺ: «إن من أكبر المسلمين في المسلمين جرماً رجلاً سأل عن شيء ونقِّر عنه حتى أنزل في ذلك الشيء تحريم له من أجل مسألته».

وجملة القول باختصار إن العفو في هذه الأحاديث هو أن يأتي الأمر عاماً يندرج تحته خيارات للمكلف، أبيح له أن يختار أياً منها ضمن ضوابط النصوص والقواعد الشرعية، وهي أن لا يختار شيئاً بعينه حرمه الله تعالى أو أسلوباً بعينه حرمه الله تعالى، فالقاعدة الشرعية تقول: «الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل التحريم» وتقول: «يبقى العام على عمومه ما لم يرد دليل التخصيص»، وضمن أي قاعدة أخرى أو نصٍ له علاقة بالمسألة.

هذا هو معنى العفو. أما النصوص التي تؤيد هذا المعنى، فمنها النص المذكور آنفاً وهو قول النبي ﷺ: «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرَّم عليهم فحرم عليهم من أجل مسألته».

ومنها ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ لمسلم عن أبي هريرة قال: « خطبنا رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». ففي هذا الحديث وفي الآية: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ ﴾ [آل عمران ٩٧] عمومٌ من جهة عدم تحديد إن كان الأمر بالحج كل عام أو كل عامين أو غير ذلك، فتكون مثل هذه الأسئلة (أكل عام) طلبا للجواب. ولو جاء الجواب بنعم أو بأنه مرة كل كذا، لكان هذا البيان تكليفاً إضافياً، ولكان فيه مزيد مشقة وكلفة، ولو جاء الجواب بلا، لما كان فيه مزيد سعةٍ ورحمة؛ لأن الأمر في أصله عام وينطبق على المرة الواحدة، أي على أقلِّ ما قيل؛ لذلك كان عدم بيان العدد دليلاً على صحة المرة الواحدة، أي إن السكوت عن ذكر العدد ليس

سكوتاً مطلقاً عن البيان بمعنى الفراغ في التشريع، وإنما السكوت نفسه عن ذكر العدد هو بيان لصحة المرة الواحدة؛ وبهذا هو رحمة لجهة أنه تسهيل وتخفيف. وجواب السائل هنا لا يتضمَّن إلا: إما زيادة التكليف أو السكوت عن الزيادة «فسكت حتى قالها ثلاثاً» وهو في الحالتين ليس فيه تخفيف وإنما فيه إما زيادة تكليف أو إبقاء التكليف كما هو؛ لذلك كان هذا السؤال وما شاكله مستدعياً لغضب رسول الله ﷺ وقولِه: «ذروني ما تركتكم»، أي طالما لم أكلفكم فلا تسألوني ما يكلفكم، وإنما هلك من كان قبلكم بكثرة أسئلتهم التي كان الجواب عليها تكاليف كثرت عليهم بكثرة أسئلتهم فلم يقوموا بها فكان ذلك عصياناً لله أهلكهم، وكذلك معنى «واختلافهم على أنبيائهم» أي كثرة الذهاب إلى الأنبياء والإياب من عندهم، أي ترددهم عليهم لأجل أسئلة يأتي الجواب عليها رافعاً للعفو.

ومن النصوص الدالة على هذا المعنى للعفو قوله تعالى في الآيتين ١٠١ و١٠٢ من سورة المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

فالله سبحانه وتعالى ينهى عن السؤال عما عفا عنه، ويقول إن الجواب قد يسوء السائلين أو يسوء المؤمنين، وهذه المساءة هي بزيادة التكاليف، إذ إن النص يقول: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ ﴾ أي وسع عليكم فيها أو سهل عليكم أو خفف عنكم، وهذا المعنى هو نفسه الوارد في حديث الحج أعلاه، وفي التفاسير أن واقعة هذا الحديث كانت سبباً في نزول هذه الآية. ومما جاء في مختصر تفسير ابن كثير للصابوني عند تفسير هذه الآية ١٠١ من سورة المائدة: «وقال العوفي عن ابن عباس في الآية: إن رسول الله ﷺ أذَّن في الناس فقال: يا قوم كتب عليكم الحج، فقام رجل من بني أسد فقال: يا رسول الله، أفي كل عام؟ فأغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً فقال: والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، وإذاً لكفرتم، فاتركوني ما تركتكم، وإذا أمرتكم بشيء فافعلوا، وإذا نهيتم عن شيء فانتهوا عنه، فأنزل الله هذه الآية».

فنص الحديث يقول: «وإذاً لكفرتم» والآية تقول: ﴿ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ فيكون المعنى الذي تتضافر عليه هذه النصوص -والله أعلم- إن سؤالكم يستدعي جواباً، وقد يكون الجواب زيادة في التكاليف، وقد تؤدي زيادة التكاليف إلى عصيان وإلى ضيق منكم وتبرُّم بهذه التكاليف فتكفرون.

لذلك فهذا النوع من الأسئلة مذموم، والذي يسأل هكذا أسئلة ويجلب للناس تكاليف تحرِّم عليهم ما أباحه الله لهم يكون من أعظم المسلمين جرماً. ومما يؤكد هذا المعنى أيضاً أن السؤال لمعرفة الحكم الشرعي مطلوب شرعاً؛ لأن المسلم ينبغي أن لا يقدم على عمل إلا بعد معرفة حكمه وأنه جائز، وهذا مقتضى الطاعة والتقوى، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ ﴾ [الإسراء ٣٦] وقال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل]، فالسؤال هو لتبيُّن الحكم، والبيان يكون بالشرع ومن الشرع، ولو كان معنى العفو هو منطقة لا بيان فيها لتناقض النهي عن السؤال فيها مع مقتضى التقوى، ومع

النهي عن الفعل قبل معرفة أنه جائز، ولتناقض مع الأمر بالسؤال ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ ﴾. فإذاً، موضع السؤال المنهي عنه هو غير موضع السؤال المأمور به، والنهي ليس نهياً عن طلب المعرفة لما يجهل حِلَّه من حرمته، وإنما هو نهيٌ عن سؤال ينتج عنه تحريم المباح أو زيادة القيود والتكاليف.

ومن النصوص الدالة على هذا المعنى للعفو أيضاً ما قصه علينا القرآن الكريم من أمر الله تعالى لقوم موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [البقرة].

فقوم موسى عليه السلام أمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة وكان الأمر عاماً، أي إن أي بقرة يذبحونها تكون مجزئة وتحصل بها الطاعة، ولو لم تكن مما ينطبق عليها المواصفات التي ذكرت لاحقاً، فكان عدم البيان هذا عند الأمر من أول مرة هو العفو، ولكنهم لم يقبلوا من الله عفوه، فسألوا وجاءهم الجواب بتعيين أوصاف لا فارض ولا بكر، وبذلك صار ذبح الفارض من البقر أو البكر غير مجزئ وليس فيه طاعة، وبهذا قيدوا أنفسهم وعسّروا أو صعَّبوا الأمر على أنفسهم، وحرّم عليهم بعض ما كان حلالاً لهم، وهكذا في كل أسئلتهم حتى ضاق الأمر عليهم، وصار شديداً عليهم أن يجدوا البقرة بالمواصفات التي جاء الأمر بها بعد أسئلتهم، وبالكاد وجدوها.

وهذه المواصفات التي بينها الله تعالى وأمرهم بها بعد أن سألوا هي مواصفات البقرة الأفضل والأحسن، ولكن الله لم يأمر بها أول الأمر، وترك الأمر عفواً، وهذا معناه التسهيل والتخفيف رحمةً بهم، وليس معناه منطقة فراغ، وإنما معناه كما هو جلي: إن ذبح أي بقرة كان مجزئاً. وبهذا المثال وبما سبقه من بيان يتضح معنى العفو ومفهومه.

هذا من حيث النصوص الدالة على معنى العفو، أم أقوال العلماء التي تؤيد وتؤكد ما ذكرته في هذه المقالة ففيما يلي بعضها:

يقول الشاطبي في معرض بيانه أن الشريعة فيها بيان كل شيء: «القرآن فيه بيان كل شيء على ذلك الترتيب المتقدم، فالعالم به على التحقيق عالم بجملة الشريعة ولا يعوزه منها شيء، والدليل على ذلك أمور منها النصوص القرآنية من قوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة ٣] الآية، وقوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل ٨٩]، وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء ٩]... وأشباه ذلك من الآيات الدالة على أنه هدًى وشفاءٌ لما في الصدور، ولا يكون شفاءً لما في الصدور إلا وفيه بيان كل شيء»[٤]. وقوله: «ذلك الترتيب المتقدم» أي ترتيب نزول الآيات.

وقال العسقلاني في فتح الباري عند شرحه

لحديث الحج: «المراد بهذا الأمر ترك السؤال عن شيء لم يقع خشية أن ينزل وجوبه أو تحريمه، وعن كثرة السؤال لما فيه غالباً من التعنُّت وخشية أن تقع الإجابة بأمر يستثقل، فقد يؤدي لترك الامتثال فتقع المخالفة. قال ابن فرج: معنى قوله: «ذروني ما تركتكم» لا تكثروا من الاستفصال عن المواضع التي تكون مفيدة لوجه ما ظهر، ولو كانت صالحةً لغيره. كما إن قوله: «حجوا» وإن كان صالحاً للتكرار فينبغي أن يكتفى بما يصدق عليه اللفظ وهو المرة، فإن الأصل عدم الزيادة. ولا تكثروا التنقيب عن ذلك؛ لأنه قد يفضي إلى مثل ما وقع لبني إسرائيل إذ أمروا أن يذبحوا البقرة، فلو ذبحوا أي بقرةٍ كانت لامتثلوا، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم».

وقال أيضاً في باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه: «قال بعض الأئمة: والتحقيق في ذلك أن البحث عما لا يوجد فيه نص على قسمين: أحدهما: أن يبحث عن دخوله في دلالة النص على اختلاف وجوهما فهذا مطلوب لا مكروه، بل ربما كان فرضاً على من تعيَّن عليه من المجتهدين».

وقال السندي في شرحه لحديث الحج من رواية النسائي: «"ذروني": أي اتركوني من السؤال عن القيود في المطلقات، "ما تركتكم": عن التكليف في القيود فيها، وليس المراد لا تطلبوا مني العلم مادام لا أبين لكم بنفسي».

وجاء في تحفة الأحوذي للمباركفوري في شرحه لحديث الترمذي في العفو: «"فهو مما عفا عنه" أي عن استعماله وأباح في أكله وفيه أن الأصل في الأشياء الإباحة».

وقال الشوكاني في فتح القدير عند تفسير الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة ١٠١] الآية: «أي لا تسألوا عن أشياء متصفة بهذه الصفة من كونها إذا بدت لكم أي ظهرت وكلِّفتم بها ساءتكم، نهاهم الله عن كثرة مساءلتهم لرسول الله ﷺ، فإن السؤال عما لا يعني ولا تدعو إليه حاجة قد يكون سبباً لإيجابه على السائل وعلى غيره». وقال: «﴿ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ أي تظهر لكم بما يجيب عليكم به النبي ﷺ أو ينزل به الوحي؛ فيكون ذلك سبباً للتكاليف الشاقة، وإيجاب ما لم يكن واجباً، وتحريم ما لم يكن محرماً».

وجاء في مختصر تفسير ابن كثير للصابوني: «﴿ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ [المائدة ١٠١] أي لا تسألوا عن أشياء تستأنفون السؤال عنها، فلعله ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو تضييق، وقد ورد في الحديث: «أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرَّم فحرِّم من أجل مسألته»، ولكن إذا نزل القرآن بها مجملةً فسألتم عن بيانها بُيِّنت لكم حينئذ لاحتياجكم إليها».

وبناء على ما سبق فإن القول بمنطقة فراغ في الشريعة قول مبتدع، وفيه جرأة على الدين، ويقصد منه قائلوه تبرير انحرافاتهم عن الشريعة، وهو قول مردود. ومعنى «العفو» هو الإباحة تسهيلاً وتخفيفاً وتوسعة على المكلف ❑

١- الموافقات، ج٤، ص١٣، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٢- المرجع السابق، ج١، ص٤٤.

٣- المرجع السابق، ج٢، ص٥٦.

٤- المرجع السابق، ج٣، ص٢٤٤.

مفهوم مضلل الاقتصار على الأركان الخمسة

من الشائع بين الناس الاقتصار الحرفي على الأركان الخمسة، واعتبار فاعلها ناجٍ من العذاب في الآخرة. ثم إن الكثيرين من الناس يستدلون بالأركان الخمسة على ترك العمل لاستئناف الحياة الإسلامية وإقامة شرع الله في الأرض. لذلك كان لا بد من البيان الشافي لخطأ هذين المفهومين:

● أما عن وجوب عدم الاقتصار على الأركان الخمسة فبيانه من وجهين:

الوجه الأول: إن قوله ﷺ «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، و حج البيت، وصيام رمضان» من باب عطف الخاص على العام، أي إن الشهادتين لفظ عام فيدخل فيها جميع الأعمال الظاهرة والباطنة، من وجوب صلة الرحم، والأمر بالمعروف، وتحريم النميمة، وقتل النفس، وغيرها، ثم أدخل على هذا اللفظ العام الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وتكون هذه من باب تسمية الشيء بأبرز ما فيه.

ومما يدل على صحة هذا جمع الروايات التي جاء فيها تعريف الإسلام: ففي رواية قال ﷺ: «بني الإسلام على شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة» فاقتصر الرسول ﷺ هنا على شهادة التوحيد، التي يتفرع عنها كل واجب ومحظور، وعلى الصلاة.

وفي رواية جاء فيها قوله ﷺ «الإسلام أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، و تصوم رمضان» و لم يذكر هنا الحج. وهذا ما يؤكد صحة كلامنا.

أمّا الوجه الثاني: فإن الشريعة اعتبرت فاعل الحرام، و تارك الواجب، مقصر، ومستحق للوم، والتوبيخ، ومعنى هذا الكلام أنه لا بد من ترك المعصية أياً كانت؛ لأن المعصية كما الواجب لا يتجزآن، والأدلة على ذلك كثيرة، منها ما يلي:

أولاً: قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه».

ثانياً: قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع رحم».

ثالثاً: قوله عليه السلام: «من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية».

رابعاً: قوله عليه السلام حين مرّ على قبرين، فقال: «إنهما يعذبان، وما يعذبان بكبير، فأما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الثاني فكان يمشي بالنميمة».

● أمّا عن زعم البعض عن عدم اشتمال الأركان الخمسة على وجوب العمل لإقامة حكم الله في الأرض، فالرد على هذا من وجهين:

الوجه الأول: إن سياق ذكر الأركان الخمسة هو في فروض الأعيان، ولا يشمل الجهاد، ولا الخلافة؛ لأن الجهاد والخلافة هي من فروض الكفايات، مع أن الرسول ﷺ نص على أن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، واعتبر العلماء أن الخلافة أم الفرائض وأمهما.

ومذهب المحققين عدم المفاضلة بين فروض الأعيان، وفروض الكفايات.

الوجه الثاني: إنه إذا كانت الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، من أبرز شعائر الإسلام، فإن طريقة إيجاد هذه الشعائر عملياً في الحياة العامة هو الدولة الإسلامية؛ لأن دولة الخلافة هي الطريقة الشرعية التي تنفذ بها أحكام الإسلام، وأنظمته في المجتمع. فالدولة الإسلامية تنقي الأجواء العامة من الكفر، والضلال، والانحراف، والانحلال، وتطبق العقوبات، والتعزيرات، والحدود، على تارك الفروض، وفاعل المحرمات. فالأركان الخمسة تفرض عملياً وجود الدولة الإسلامية؛ لأنّ الدولة هي الضمان الوحيد لصيرورة نظام الإسلام واقعاً في المجتمع والحياة ❑

مظاهر الوحدانية (٢)

تفرد الله تعالى بالرزق

إن ما خلقه في الكون من موجودات وكائنات عظيمة الكثرة، تحتاج لكي تبقى وتتكاثر إلى ما يضمن لها -وفق مشيئة الله- سبل البقاء؛ فكان لابد من رزق تحيا به وتنمو. والله الذي خلق تلك الموجودات وملكها هو الذي يسدي إليها النعم ويرزقها، وهو متفرد وحده بهبة هذه الأرزاق وحده بحسب ما قال سبحانه عن نفسه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء].

بل إن الله تعالى لم يسمِّ نفسه في القرآن باسم يدل على أنه يرزق إلا بصيغة المبالغة ﴿ ٱلرَّزَّاقُ ﴾ فهو سبحانه لا يرزق الخلق فحسب، بل أنه يبالغ في إمداد الخلق بالرزق عدد لحظات الحياة ونسمات الأنفس.

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات ٥٨].

- وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر ٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ ﴾ [الإسراء ٣١].

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس]. ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ ﴾ أي في هذا الذي ذكر كله، وفي سواه من شؤون الكون وشؤون البشر؟ من يدبر الناموس الكوني الذي ينظم حركة هذه الأفلاك على هذا النحو الدقيق؟ ومن يدبر هذه الحياة فتمضي في طريقها المرسوم بهذا النظام اللطيف العميق؟ ومن يدبر السنن الاجتماعية التي تصرف حياة البشر والتي لا تخطئ مرة ولا تحيد؟ ومن؟ ومن؟ ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ (في ظلال القرآن) ❑

تفرد الله تعالى بالتدبير

كما ضمن الله سبحانه لمخلوقاته البقاء والتنامي بكفالته لأرزاقهم، فإنه عز وجل تكفل بتدبير النظام الذي تسير عليه أنماط حياتهم، وينتظم به ناموس معيشتهم، وفقاً للسنن الإلهية، وذلك حتى لا يظطرب الوجود، أو يزول الوعد المحدد له.

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس] ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ ﴾ أي يقدر أوائله وأواخره، وينسق أحواله ومقتضياته، ويرتب مقدماته ونتائجه، ويختار الناموس الذي يحكم خطواته وأطواره ومصائره. (في ظلال القرآن).

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس] ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ ﴾ أي في هذا الذي ذكر كله، وفي سواه من شؤون الكون وشؤون البشر؟ من يدبر الناموس الكوني الذي ينظم حركة هذه الأفلاك على هذا النحو الدقيق؟ ومن يدبر هذه الحياة فتمضي في طريقها المرسوم بهذا النظام اللطيف العميق؟ ومن يدبر السنن الاجتماعية التي تصرف حياة البشر والتي لا تخطئ مرة ولا تحيد؟ ومن؟ ومن؟ ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ (في ظلال القرآن) ❑

العُقاب

إنْ عَـزَّ قَومُـكَ بالرّايـاتِ وافْتَخَـرُوا ... والجَهْـلُ خيَّم فَانْـساقُوا وَمَـا اعْتَبَـرُوا
قُـمْ لِلرَّسُـولِ وَقَبِّـلْ وَجْـهَ رايَتِـهِ ... واجْهَـرْ بصَـوْتِكَ والرّايـاتُ تَـنْتَشِرُ
اللهُ أَكبَـرُ والأحْـلامُ وَاقِعَـةٌ ... اللهُ أكبَـرُ هـذا الصُّـبحُ يَنفجـرُ
غَـداً تُـطِـلُّ خُيُـولُ النَّصـر زاحِفَـةً ... خَلْـفَ العُقـابِ وكـلُّ الرَّكـبِ ينتظـرُ
فامسـحْ دموعَـك واستبشـر لطَلعتهـا ... شمسُ الخِلافـةِ هـل تُـطوى وتحتضـرُ؟
أيْـنَ الخَليفَـةُ والـدُّنيا بِـإمْرَتِـه ... والكـونُ أشـرَقَ والآفـاقُ تَـفْتَخِرُ؟
والنّـاسُ أسـعدُ مَـا كانَـتْ ببَيْعَتِـهِ ... حتى الكواكبُ حتى الشَّمْسُ والقَمَرُ
وَالأَرْضُ تُـنْشِـدُ ألحانـاً مُبَجَّلَـةً ... والنَّـهْرُ يَعـزِفُ والأَغْصـانُ والشَّـجَرُ
والمُسْـلمونَ بِـثَـوْبِ العِـزِّ قـد رَفلُـوا ... لّمـا أَعَـدُّوا ففـازوا مِثْـلما صَـبَرُوا
هَجْـرُ التخـاذُلِ سـيماهُمْ ودَيْدَنُـهم ... لَـوْلا الجِهـادُ لَمـا سَـادُوا ومـا عَبَـرُوا

❁❁❁

سَـلْ أَهْـلَ ذِمَّتِنـا في ظِـلِّ دَوْلَتِنـا ... في عِـزِّ مِحْنَتِنَـا هـلْ راعَهُـمْ خَطَـرُ
مـا بالُنـا اليـومَ نبكـي مَجْـدَنا أسَـفاً؟ ... حُكّامنـا لكِتَـابِ اللهِ قَـدْ هَجَـرُوا
والمسـلمونَ بسـاحِ الـذُّلّ قَـدْ وَقَفُـوا ... بَعْدَ الخِلافَـةِ كمْ هانُـوا وكـم صَغُـروا

❁❁❁

رُومـا تقـولُ وقـدْ ضـاقَتْ بِـشِـرْعَتِهم ... تَسْتَعْجِلُ الوَعْدَ هَلْ في القَوْمِ منْ خَفَرُوا؟
رومـا تَـئِنُّ وَمِـنْ «باباتهم» سَـئِمتْ ... تسـتقدمُ الفَـتْحَ تَـسْتَجديكَ يـا عُمـرُ
والنّـاسُ في الغرب أشْـقى مِـنْ بَهائِمِهـا ... تَـغْـدو تَـروحُ ومـا في القَلْـبِ مُعْتَبَـرُ
أيـنَ العُلـومُ؟ وأيْـنَ المـالُ مُنْغَـمِـسٌ؟ ... أَيْـنَ الصِّـنَاعةُ؟ هـل تُـغني إذا كَفَـرُوا

❁❁❁

بَغْـدادَ قُـولي لِكُـلِّ الأرضِ قاطِبَـةً ... كيـف العلـوج بمهـد العـز قـد سـخروا
كـلُّ الشُـعُوبِ لهـا تاريخُهـا أبَـداً ... إلاكَ بـوشُ فـلا يَغْـرُرْنَـكَ النَّـظَرُ
إنّـا لَنَنْظُـرُ في الأَعْـداءِ نَظْرَتَـنا ... نَـغْـتَرُّ أكثَـرَ في الإقْـدامِ إنْ كَثُـرُوا

❁❁❁

والقُدسُ تَـبْكي ومـا في القـومِ مُعْتَصِـمٌ ... شـارونُ عَرْبَـدَ والشُّـذَّاذَ قَـدْ سـكرُوا
متـى اليهـودَ بسـاحِ العـزِّ قـدْ نَـزَلوا ... متـى القـرودَ علـى أنْـقاضِنا كَبُـرُوا
لكنَّـــه خَبَـــرٌ والـــذِّكْـــرُ أَوْرَدَه ... فاسأل بَربِّك مَـنْ خَاضـوا وَمَـنْ خَبِـرُوا
إنَّ العُقـــابَ لَرَمْـــزٌ للعُـــلا أبَـــداً ... دارَ الزَّمـــانُ وعـــادَ النَّصـــرُ والظَّـــفَرُ
هـذي العُقـابُ أَظَلَّـتْ مَجْـدَ هامتِـنا ... والعِـزُّ يَغْـمُرُها والخَـوْفُ يَنْشَـطِرُ
شَـمْسُ الخِـلافَـةِ قَـدْ لاحَـتْ بَشـائِرُهـا ... فيـا سُـراقَةَ كِـبِّر جـاءَك الخَـبَرُ ❑

ما معنى العُقاب ؟

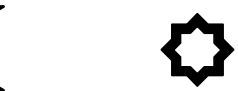

ثبت أن راية الرسول ﷺ كانت تسمى العقاب، ذلك أن من سنة رسول الله ﷺ أن يسمي الأشياء، وقد سمى رايته بالعقاب.

فقد جاء في الحديث: «كان من خلقه تسمية دوابه، وسلاحه، ومتاعه، وكان اسم رايته: العقاب، واسم سيفه الذي يشهد به الحروب: ذو الفقار، وكان له سيف يقال له: المِخْذَمْ، وآخر يقال له: الرَّسُوب، وآخر يقال له: القضيب، وكانت قبضة سيفه محلاة بالفضة» أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وجاء في الحاوي للسيوطي: «عن الحسن يقول كانت راية رسول الله ﷺ سوداء تسمى العُـقاب وعمامته سوداء».

قال ابن حجر في الفتح: وقال أبو بكر بن العربي: اللواء غير الراية، فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه، والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح. وقيل اللواء دون الراية، وقيل اللواء العلم الضخم.

والعلم علامة لمحل الأمير يدور معه حيث دار، والراية يتولاها صاحب الحرب.

وجنح الترمذي إلى التفرقة فترجم بالألوية وأورد حديث جابر: «إن رسول الله ﷺ دخل مكة ولواؤه أبيض» ثم ترجم للرايات وأورد حديث البراء «أن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء مربعة من نمرة».

وحديث ابن عباس «كانت رايته سوداء ولواؤه أبيض» أخرجه الترمذي وابن ماجه.

وقال في النهاية: وفيه «أنه كان اسم رايته عليه السلام العقاب» وهي العلم الضخم.

العُقاب (بضم العين) هو طير جارح من طيور السماء. والعُـقاب ملك الطيور بلا منازع، وسيد الطيور والهواء، إذا حلق في السماء لم يجرؤ طير أن يطير في السماء أو يتحرك من مكانه في الأرض، ويروى أن

أحد أرباب الطيور الجارحة ومحترفي القنص في الصحارى، أنه كان لديه صقر، وأنه ألقى بحمامة على الأرض لصقره من أجل أن يأكلها، ولكن الصقر ظل واجماً لا يتحرك، فنظر إلى السماء فرأى عقاباً يطير، فعلم أن الصقر إن رأى العقاب يطير في السماء فإنه لا يجرؤ على الحراك، وسبحان الله الخلاق العظيم.

والعرب تسمي العقاب الكاسر. قال في الكامل: العقاب سيد الطيور، والنسر عريفها، وهو حاد البصر؛ ولذلك قالت في البصر: أبصر من عقاب، وأنثاه تسمى لِقوة. والعقاب لا يأكل إلا من صيده، ولا يأكل إلا حياً، فلا يأكل الجيف والحشرات، وإن لم يجد صيداً طازجاً شهياً فإنه لا يأكل ويظل جائعاً.

والعقاب يأوي إلى الجبال أو الصحارى أو الفياض، وتبيض أنثاه ثلاث بيضات في الغالب، وتحضنها ثلاثين يوماً. وهي أشد الجوارح حرارة، وأقواها حركة، وأيبسها مزاجاً، وهي خفيفة الجناح سريعة الطيران، يقول الدميري صاحب كتاب حياة الحيوان: تتغذى العقاب بالعراق وتتعشى باليمن من سرعة طيرانها، وريشها الذي عليها، فروتها في الشتاء وحليتها في الصيف.

ويقول التوحيدي: ومن عجيب ما ألهمته أنها إذا اشتكت أكبادها أكلت أكباد الأرانب والثعالب فتبرأ، وهي تأكل الحيات إلا رؤوسها، والطيور إلا قلوبها.

ومن شأن العقاب أن جناحها لا يزال يخفق، قال عمرو بن حزام:

لقد تركت عفراء قلبي كأنه جناح عقاب دائم الخفقان

وذكر المعبر عبد الغني النابلسي، رحمه الله تعالى، في تعطير الأنام:

العقاب في المنام هو رجل قوي صاحب سلطنة وبطش شديد، مهيب صاحب حرب، لا يأمنه قريب ولا بعيد، فإن وقع العقاب على سطح دار رجل أو رآه في عرصتها فإنه ملك الموت.

ومن رأى أنه يقاتل عقاباً فإنه ينازعه سلطان أو ذو سلطان. ويدل العقاب لمن هو في الحرب على النصر والظفر بالأعداء؛ لأنها كانت راية النبي ﷺ، وربما دلت على المال الكثير والحرب لما يتخذ من رياشه للسهام.

لقد تبنى **حزب التحرير** في كتبه، وذلك تأسياً بما كان عليه الرسول ﷺ، أنه:

«يكون للدولة ألوية وورايات، وذلك استنباطاً مما كان في الدولة الإسلامية الأولى التي أقامها رسول الله ﷺ في المدينة المنورة...».

«واللواء أبيض، ومكتوب عليه لا إله إلا الله بخط أسود، وهو يعقد لأمير الجيش أو قائد الجيش، ويكون علامة على محله، ويدور مع هذا المحل حيث دار. ودليل عقد اللواء لأمير الجيش (أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح ولواؤه أبيض) رواه ابن ماجة من طريق جابر».

والراية سوداء، ومكتوب عليها لا إله إلا الله بخط أبيض، وهي تكون مع قواد الجيش (الكتائب، السرايا، وحدات الجيش الأخرى). والدليل أن الرسول ﷺ، وقد كان قائد الجيش في خيبر، قال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فأعطاها علياً» متفق عليه ❑

كلمة أخيرة

المنفيين والجنسيات المزدوجة

لقد أصبح المنفيون والمهاجرون من أبناء الأمة من أخطر الناس عليها وعلى أمنها ومستقبلها، ولقد أحسنت الدول الغربية التعامل معهم فتولت رعايتهم وتدريبهم وغسل أدمغتهم، فمنحتهم جنسيات أجنبية، وحوّلتهم إلى عملاء مخلصين يحملون جنسية مزدوجة ولكنهم يدينون بالولاء للدول الكبرى الطامعة التي تقوم باستعمالهم قفازات أو «نعل اللص» في بلاد المسلمين.

حصل ذلك في أفغانستان مع كارازاي وأمثاله، وفي العراق مع علاوي وأمثاله، ولو دققنا في جنسيات من يحكمون العراق الآن لوجدنا أغلبهم يحمل جنسية أخرى، وكأن الجنسية أصبحت مغرية لدرجة أنها أصبحت ثمناً لشرائه كعميل مخلص.

أما في لبنان، فقد ظهر بعد مقتل الحريري أن قادة الأجهزة الأمنية يحملون جنسيات فرنسية وأميركية وبريطانية، لكن ذلك لم يكترث له أحد في لبنان بسبب أن الكثيرين فيه يحملون جنسية مزدوجة، لكنها لا تشكل خطورة بمثل خطورة أن يكون مسؤولاً خطيراً يحمل جنسية بلد آخر أقسم يمين الولاء له على حساب أمته وأهله.

ليس من المتوقع أن يعترض أحد من بلادنا ممن هم في مركز المسؤولية على هذه الجريمة السياسية بحق الناس، وهي أن يحكمهم مسؤول وكأنه يمثلهم، ولكنه يمثل الدولة التي منحته الجنسية، وكلفته بحكم الناس تحت ذريعة أنه من جذور محلية، مع أنه لا يملك من الجذور سوى اللباس الخارجي الذي يتدثر به كارازاي بعباءته المعروفة لكي يضلل بعض البسطاء من الناس في بلاده.

المهم في الموضوع أن يعرف الناس أن من يدّعون تمثيلهم زوراً هم يمثلون عليهم، ويمثّلون المحتل ليس بصفة عميل فحسب، بل هو منهم، عاش بينهم، ودرس في مدارسهم وجامعاتهم، وحمل جنسيتهم، وأخلص في الولاء لهم. أميركي أو بريطاني أو فرنسي يحكم بلداً من بلداننا باسمنا وكأنه منا.

هلاّ كشف المسلمون ذلك في واقعهم ورفضوه، فلا يندفعوا إلى شِباك الانتخابات وشِراك الديمقراطية التي تستورد لنا مثل هذه البضاعة الغربية لتحكمنا؟!

إن التجربة هذه سوف تتكرر، في بلدان أخرى من بلدان المسلمين، ولن تكون ليبيا آخرها مثلاً ❑

العروبة وصنم التمر

- أما آن للعروبيين الحالمين أن يستفيقوا؟ وماذا تبقى من عروبتهم التي تغنّوا بها لعقود مضت؟ أما مناسبة صنم التمر فهي أن العربي في الجاهلية كان يصنع صنماً من تمر يتخذه إلهاً (حسب زعمه) وبعد أن يجوع يأكل صنمه هذا أو معبوده الذي صنعه بيديه.
- تتساقط شعاراتهم عند أول مناسبة احتكاك بين زعيمي عشيرتين، أو بين حاكمي بلدين، وكأن كل البناء الهش تحول هشيماً تذروه الرياح، حصل هذا داخل البلد الواحد، وبين بلد وآخر، والأمثلة كثيرة فمن اليمنين قبل توحيدهما، إلى العراق والكويت، والسعودية وقطر، واليمن والسعودية، ومصر وليبيا، ومصر والسودان، والجزائر والمغرب، والأردن والسعودية، والأردن وسوريا، وسوريا والعراق قبل سقوط صدام وبعده، ولبنان وسوريا قبل الانسحاب العسكري وبعده.
- كانت العلاقة بين سوريا ولبنان تحكمها شعارات فضفاضة حفظها الناس عن ظهر قلب، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: شعب واحد في دولتين، ووحدة المسارين، ووحدة المسار والمصير، والعلاقات المميزة، وسوريا الشقيقة، ولبنان الشقيق، والصمود والتصدي، ولبنان خاصرة سوريا، وبعد مقتل الحريري وانسحاب الجيش السوري من لبنان سقطت كل تلك الشعارات، وبدأت الحدود المصطنعة بين البلدين تشهد حصاراً برياً خانقاً تحتشد خلاله مئات الشاحنات والبرادات التي تعبر بطريقة (الترانزيت) إلى العراق، والسعودية، والأردن، والخليج.
- سقطت تلك الشعارات عند أول هزة، أي سقط صنم التمر، وسقط معه الوهم الذي تربت عليه أجيال وأجيال، فإذا بها تكتشف أن الأحلام التي كان يعيش في ظلالها هي كذب وتضليل وخداع آن الأوان للتخلص من رواسبها. وفي النهاية لا يصحّ إلا الصحيح، فليست بلاد العُرب أو طاني من الشام لبغداد، ومن نجد إلى يمن إلى مصر فتطوان. فالعراق يذبح من الوريد إلى الوريد على يد المحتل بمساعدة بعض العرب، وغض النظر من عرب آخرين، وفلسطين تذبح بعد أن تآمر عليها زعماء العرب عام ١٩٤٨م واستمروا في التآمر حتى هذه اللحظة. فماذا بقي من عروبتهم يا ترى؟ ❑